قلوب عامرة

رواية

مهندس/ عبدالله عبدالمنعم

بطاقة الكتاب

قلوب عامرة

عبدالله عبدالمنعم

رواية

رقم الإيداع : ٢١٠٧٢ / ٢٠٢١

الترقيم الدولي

٩٧٨ -٩٧٧ -٩٠ - ٩٦٠٧ - ٠

الطبعة الأولى

عدد الصفحات: ٩٦

تاريخ الإصدار: سبتمبر ٢٠٢١

الإخراج الفني والمراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب والناشر

دار وادي عبقر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيت الإبداع.. وموطن العباقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook/ wadiabkar

www.youtube.com/ wadiabkr /

٠١٥٥٥٥١٧٤٢٦

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥ : ت

٠١٢٢١٤٨١٨٥٦ : ت

٠٨٦٢١٦٤٤٢٨ : ت

إهداء

إلى قلوب تعرف الله وتخشاه

قلوب عامرة بحب الخير للجميع دون تمييز

قلوب تزلزلها دمعة مظلوم

وتسعدها بسمة طفل

قلوب لا تعرف الخراب ولا تحب الدمار

أهديهم هذا العمل كقطرة في بحر حب الخير لله دون سواه

مهندس عبدالله عبدالمنعم

٠١٢٢٣٣١١٧٥٢

قلوب عامرة

عبدالله عبدالمنعم

رواية

(١)

أسدل الليل أستاره ولف الكون بعبائتة السوداء وخيم السكون على الطريق فلا يسمع أي صوت يقطع هذا الصمت إلا صوت راديو سيارة كمال وهو يستمع إلى أغنية (أقبل الليل) لتكتمل لوحة الليل عنده وينظر كمال إلى الطريق الخالي من السيارات والبشر ليكتشف أنه قد انحرف إلى الطريق الغربي المؤدي إلى المنصورة وهو الطريق الأطول مسافة والأكثر وحشة والكل يجتنبه لطوله ووحشته ولا يعرف كمال كيف انحرف إليه ليكتشف أن السائق الأوتوماتك الموجود داخل كل منا هو من قاده إلى هذا الطريق فهو يحب هذا الطريق لما يحمله من ذكريات الصبا والشباب فعلى جانب الطريق ترعة كبيرة تروي كل أراضي القرى التي تمر بها فهى تمر بقريتنا الجميلة.

قريتنا تنام على ذراع الترعة وفيها قضينا طفولتنا وشبابنا فكل شوارعها وحواريها وأزقتها تحمل لنا الذكريات فلو تتكلم لقالت كم سرنا ولعبنا بها فالشوارع تحفظ ماتشات الكرة الشراب ولعبة الاستغماية؟ وهناك شارع لا ننساه ولا ينسانا شارع فرن البسكويت الذي كان يعمل في شهر رمضان فقط وكنا ننتظر شهر رمضان بشوق أكثر من العيد لنذهب للفرن ونجلس على ماكينة صنع البسكويت ونلف يدها ونقطع المنتج ونرصه في الصاج كنا نتمتع برمضان أكثر من جيل أولادنا الذين ذهبوا للبسكويت الجاهز والمغلف ولم يعرفوا أي شيء عن هذه المتعة.

لذلك كان كمال ورفاقه يحبون الصيف وينتظرونه لما به من جلسات سمر واجتماع ولهو وكانوا لا يحبون الشتاء لأنهم لا يتجمعون فيه فالهواء والأمطار والصقيع يجعل كل منهم يلزم داره ويكتفون بالالتفاف حول الراكية مع الأهل وإن التقوا أو تقابلوا يكون ذلك من أجل الالتفاف حول الراكية والتمتع بشاي الراكية الذي لا يساوي طعمه أو نكهته أي شيء آخر.

كل من خرج من القرية بحكم عمله مازال يحتفظ ببيت أبيه ويذهب إليه كل أسبوع وكأنه يذهب ليشحن قلبه من حب لا ينتهي من رحيق الماضى والحنين إليه فهنا كان يجلس والدي وهنا كانت تجلس أمي وهنا كانت تطهو الطعام على الكانون الذي ذهبت أيامه ورائحة طهوه حقا كان زمن جميل بقلوب من رحلوا ولعل بعض لقاءات الأصدقاء تعطي القلب جرعة من الحنين وذكريات الماضى الجميل.

كان على كتف الترعة شجرة الجميز العتيقة التي كم أكلنا من ثمرها وعلى الكتف الآخر شجر التوت الذي كنا نتسلقها ونقذفها بالطوب لنأكل من ثمار التوت الملون كم كانت جميلة تلك الأيام وأمام شجر التوت داخل الأرض الزراعية كانت هناك طلمبة مياه تأتى بالماء العزب الذي كان يشبه الحليب في طعمه من باطن الأرض وترسله عبر جدول صغير مبنى من الطوب ومساوى بالمونة ما يعرف بالطقطوقة جدول الماء الصغير كم سمرنا بجواره وكم سمرنا بجوار الجميزة والتوتة من الغروب إلى أن يحل النوم نتسامر كل فيما قرأه من كتب فقد شكل وجداننا وثقافتنا كتاب كانوا عنوان مصر في العالم كله نجيب محفوظ أديب نوبل وتوفيق الحكيم وإحسان

عبدالقدوس وعبدالرحمن الشرقاوي ولطفي السيد وثروت أباظة ويوسف إدريس و و و ..

تمتعنا حقا أما الجيل الحالي فلا يقرأ فقط كل حياته على الفيس بوك لذلك كان لدينا ما نتحدث فيه ونتناقش ونتبادل أحلام المستقبل وبعد أن سار بنا الزمان صرنا نتذكر ما كان.

يبتسم كمال من هذا الشريط الجميل الذي يدور في رأسه ويجعله في سعادة غامرة وأحس بسعادة لأنه أخطأ وسار في طريقه الحبيب.
كل ذلك كان يدور بعقل كمال وهو يقود سيارته على طريق الذكريات الذي قاده إليه عقله الباطن ووضعه على الطريق دون أن يصدر كمال له الأمر بذلك وكأن العقل الباطن يعيش أيضا ذكرياته.

لقد تخرجت الشلة كلها وكل منهم أصبح له مجاله العملي كما كان يحلم وأصبح كمال تاجرا كبيرا لكل أنواع الأقمشة من ملابس جاهزة إلى خامات وقد نفعته خبرات شهادته العلمية فهو حاصل على بكالوريس التجارة وأصبح يلتقى الشلة في المناسبات أو تجمعهم صلاة الجمعة أو تجمعه بهم الذكريات فقط كلما سار على الطريق

(٢)

يرن الموبيل ليقطع صوت أم كلثوم فهو متصل على الراديو فتتوقف الأغنية ويحل صوت الرنين مكانها فيرد كمال على التليفون

- يا عم رمزي ده وقته؟.. يا غلس... إنت مش عارف إن التليفون متوصل مع الراديو (يضحك)
- وعليكم السلام يا سيدي... هو ده سلامك يا أبو أحمد؟... يعنى بلاش اطمئن عليك؟.. إيه اللي حصل يعنى؟.. كنت بتسمع إيه كده وتليفوني فصله وبوظ الجو؟
- أم كلثوم.. وإيه .. أقبل الليل
- (ضاحكا) آه.. ده بس تأثير الطريق مع دخول الليل.. بتعيش الجو يا حاج..
- الهدوء شيء جميل.. بس هو فين؟
- انت بقيت رومانسي ولا إيه؟ كان لازم أم أحمد تكون معاك.
- يا راجل دا انت لسه بتتكلم عن الرومانسية.. اتقي الله يا رمزي... هو فيه زوجة رمانسية؟.. قصدك نكدية
- (ضاحكا) إيه ده يا كمال؟ ده أنا بقول إنك عايش حياة زوجية رائعة.. الست أم أحمد طيبة.. وقلبها أبيض زيك...
- آه.. عشان بنت خالتك بس.. وكمان عقلها أبيض زى معظم الستات
ضحكات من الطرفين عالية
- انت فين دلوقت؟
- (ضاحكا) في العربية

- لا صحيح.. وصلت فين؟
- يعنى كمان حوالي ساعة أوصل المنصورة.. الطريق الغربي دا يا رمزي فاضي خالص.. تحس كأن الناس بطلت تسافر عليه... كل ربع ساعة لما تشوف عربية
- (في فزع) إيه اللي مشاك من الطريق المتطرف ده..؟ ليه يا عم كمال.. الطريق الزراعي أفضل بكتير.. أمان يا عم
- ربك يسترها..
- (معاتبا) إحنا مش اتفقنا إنك تسافر زراعي.. حصل إيه؟
- تصدق بالله.. أنا ما اعرفش مشيت إزاي.. أنا ببص لاقيت نفسي على الطريق دا.. وكأن فيه سواق اوتوماتك داخلي هو اللي سايق
- لأنك واخد عليه.. هو طريق سريع بس مقطوع.. خلي بالك

ظل الحوار مستمرا ليقطع المسافة والوحدة لكمال الذي كان يتفنن في إطالة الحوار حتى لا يعود وحيدا على الطريق.

(٣)

على نفس الطريق وأمام كمال بحوالي كيلومتر كانت هناك سيارة تقل رجل وزوجته وطفلهما في طريقهما من القاهرة إلى الاسكندرية وقد دخل هذا الطريق بالخطأ أيضا وهو دكتور عزت وزوجته دكتورة مريم وهما في العقد الثالث وطفلهما يوسف عمره ست سنوات وتمكن القلق من عزت وزوجته من هذا الطريق الموحش والمقطوع ولا يعرف عزت كيف دخل هذا الطريق ولا كيف سيخرج منه وقطع تفكير عزت في كيفية الخروج من هذا الطريق صوت يوسف ابنه.

يوسف : (بصوت عالي) ماما.. ماما.. جعان
مريم : حاضر.. امسك يا عزت قزازة الميه دي.

يأخذ عزت زجاجة الماء من زوجتة حتى تتمكن من إخراج السندوتش لابنها من الشنطة ويناول عزت زجاجة الماء لابنه بينما مريم تعطى ابنها السندوتش وعزت يعطيه زجاجة الماء

عزت : خد يا معلم
يوسف : هات يا معلم..
مريم : (في استغراب) يا معلم.. إيه يا معلم دى..؟ إيه يا عزت بتقول للواد يا معلم
عزت : (ضاحكا) قشطة يابا
يوسف : قشطة يا معلم
مريم : انت بتعلم الواد إيه؟ لغة شوارع.. يا لهوى

عزت : (ضاحكا) دي لغة العصر.. يوسف هما بيقولوا على البنت الحلوة إيه يا معلم
يوسف : بيقولوا مُزة يا معلم
عزت : (ضاحكا) مية مية
مريم : (صارخة) مُزة... انت بتعلمه إيه؟؟
عزت : لغات العصر.. لغات حية.. صح يا معلم
يوسف : المُزة بتعتك زعلانة ليه يا باشا؟

يضحك عزت ومريم بصوت عالي من رد يوسف وتعقب مريم على رد يوسف

مريم : يا مصيبتى.. المُزة بتعتك.. طيب والله هوريك.. يا عزت الطريق ده ماله فاضى كده ده هووو خالص... انت مشيت فيه قبل كده
عزت: آه طبعا.. بس الظاهر الناس بطلت تسافر وكل واحد قاعد في بيته
مريم : بجد أنا حاسة بخوف.. وقلبي مقبوض من الطريق المقطوع ده..
عزت : فيه موتوسيكل جاى من بعيد اهه.. يعنى فيه ونس.. نوره ضارب في المراية اهه... هيعمي عيني بس ماشى علشان الونس يا ست
مريم : الواد نام والسندوتش في ايده.. يا حبيبي ..

يقترب صوت الدراجة البخارية وعليه رجلان ملثمان وفي يد الراكب الخلفي مسدس وينحرف ناحية سيارة عزت بقوة وغشم ويرفع راكب

الموتوسيكل مسدسه تجاه عزت ويأمره بالتوقف وإلا قتله فتصرخ مريم فزعا

مريم : (صارخة) يا نهار اسود.. إلحق يا عزت.
راكب الموتوسيكل : (في لهجة تهديد لعزت) اقف.. بقولك اقف.. أنا مش بهزر.. هاضرب
سائق المتوسيكل : اضرب.. مافيش وقت..

يطلق الراكب الخلفي للموتوسيكل طلقة نارية في الهواء تهديدا لعزت ويهدده بصوت مرتفع

اللص : الطلقة التانية في دماغك اشتري نفسك
عزت : عايزين إيه؟
اللص : عايزين سلامتك.. عايزين العربية
عزت : ومالكمش دعوه بينا؟
اللص : هنهبب بيكم إيه؟ هاقتلك لو ما وقفتش

يقف عزت بالسيارة ويأمرهم اللص بالنزول فينزل عزت فيضربه اللص بكعب المسدس على رأسه فيسقط مغشيا عليه فاقدا للوعي تماما فيركب اللص مكان عزت للإستيلاء على السيارة وتنزل مريم فتقع عين اللص عليها ويرى جمالها فيطمع فيها فيأمرها بركوب السيارة مرة أخرى وهو مذهول من جمالها

اللص : معقولة الجمال دا؟.. دا انتى ولا بتوع السيما.. اركبى يا حلوة تانى.. دا احنا ليلتنا عنب

مريم : (صارخة) يا مصيبتى.. يا مصيبتى.. عزت.. عزت.. فوق.. شرفك يا عزت هينهشسوه

الطفل : (في صراخ مستمر) بابا.. بابا.

اللص : اركبى.. ولا اضرب ابنك راخر.. ودا هيموت فيها

مريم : لا.. لا.. ابنى لا... هاركب.. يا رب.. يا رب

سائق الموتوسيكل : بسرعة.. فيه عربية جايه علينا.. بسرعة اركب العربية ودوس بنزين وأنا قدامك بالموتوسيكل

ينظر اللص إلى مريم وهى تصرخ وتولول طمعا أن يسمعها أحد

اللص : ما تخرسى يا بت.. واكتمى الواد دا ولا اكتمه أنا

يقترب نور السيارة القادمة خلفهم ونورها ينير المكان فيتحرك اللص بالسيارة خلف الموتوسيكل الذي يقوده شريكه محاولان الفرار قبل أن تصل السيارة القادمة خلفهم وهى سيارة كمال.

(٤)

كمال ورمزي مازالا في حوارهما من أجل قتل الطريق ووحشته ويرى كمال الموتوسيكل واللصين اللذين يستقلانه وهما يهاجمان السيارة لسرقتها فيقطع كمال الحوار

كمال : استنى يا رمزي.. فيه حاجة غريبة
رمزي : فيه إيه؟.. طمنى..
كمال: ناس بتثبت عربية.. وصراخ وهيصة.. أنا قربت منهم.. دا العربية هتتحرك.. واحد مرمي على الأرض.. وصوت صراخ واحدة وابنها
رمزي : (في حدة) خليك في حالك.. دول بيبقوا مسلحين
كمال : وأنا مسلح بمساعدة ربنا.. والمسدس في التابلوه اهه
رمزي: كمال.. كمال.. رحت فين؟
كمال : فيه عرض هينتهك يا رمزي.. تفتكر أسيبه؟.. تخيل إنها عرضك.. العربية هتتحرك.. وانا وصلت عندهم

يفتح كمال التابلوه ويأخذ المسدس ويزيد السرعة إلى أن يلحق بالموتوسيكل والسيارة، بينما اللص يركب سيارة عزت ليهرب بها ومعه زوجة عزت وطفله وعزت ملقى على الأرض مغشيا عليه.

(٥)

يلحق بهم كمال ويهددهم دون خوف أو وجل وبرجولة وشجاعة منقطعة النظير ويهددهم أنه سيضربهم إن لم يتوقفوا لكنهما لا يتوقفان فيطلق رصاصة في الهواء ولكن دون جدوى فيطلق رصاصة في إطار السيارة فتقف وينزل منها اللص شاهرا مسدسه وقبل أن يلتفت يناوله كمال رصاصة في يده التي تمسك المسدس فيسقط المسدس على الأرض

سائق الموتوسيكل : (لصديقه) اجرى.. اركب بسرعة الموتوسيكل ورايا انت متصاب.. اركب مافيش وقت
كمال : هديكم فرصة تغوروا
سائق الموتوسيكل : خلاص ماشين

يجرى اللص إلى صديقه الذي يستقل الموتوسيكل ويلوذان بالفرار ويختفيان في ظلام الشارع الموحش ويذهب كمال إلى السيارة ويفتح بابها وتخرج مريم تجاه كمال وهي منهارة ولا تصدق ما يحدث لهم

مريم : الحمد لله.. الحمد لله.. بركاتك ياعدرا.. بركاتك ياعدرا..
كمال : انتى كويسة؟..
مريم : كويسة دى كلمة بسيطة.. أنا اتولدت من جديد على إيديك.. انت ملاك ربنا بعته لينا

تدخل مريم نوبة بكاء هستيري وتقترب من كمال وتنزل على ركبتيها لتحاول تقبيل قدم كمال وهي تبكي من شدة تأثرها بإنقاذه لها فيوقفها كمال بسرعة رافضا تقبيلها قدمه

كمال : ليه كده إحنا أخوات وانتى زي أختي.. ابنك فين؟
مريم : ابنى معايا اهه.. بس في حالة إغماء.. هافوقه حالا البارفان معايا اهه في الشنطة
مريم : (تكلم نفسها) ده حلم فظيع.. أنا في كابوس.. معقولة اللي إحنا فيه؟. دا لو حد حكى لي اللي حصل دا مش هصدقه.. الحمد الله (بصوت عالي) يوسف.. يوسف..

ترش مريم البارفان على وجه يوسف فيفتح عينيه باكيا

يوسف : (باكيا) ماما.. ماما.. فين بابا
مريم : بره.. تعالى نفوقه.. عزت اتبهدل.. ربنا يسترها..
يوسف : طيب يللا نروح لبابا
مريم : هو عزت فين؟.. أنا مش شايفة حاجة.. أنا حاسة الدنيا لسه بتلف بيا

يتجه كمال إلى سيارته ويوجه نورها لموقع الحادث ليرى عزت ويضيء المكان ليستطيع تركيب استبن عربة عزت بعد الرصاصة التي أطلقها عليه ويذهب إلى عزت الملقى على الأرض وما زال في غيبوبته وترش مريم البارفان على وجهه لإفاقته

مريم : عزت.. عزت.. فوق.. فوق

كمال : ادعكي بين عينيه
مريم : ما تقلقش.. أنا طبيبة..
كمال : طيب بسرعة.. ممكن يرجعوا تانى بناس تانية.. هم دلوقتي لهم تار عندي

يتجول كمال في المكان فيرى مسدس اللص الذي سقط منه على الأرض بعد أن أصابه كمال بطلق ناري في يده فيلتقط كمال المسدس ويذهب إلى مريم وهي تسعف زوجها وقتها يفيق عزت ويضع يده على مكان الضربة التي أخذها على رأسه وينظر لزوجته وإلى كمال ويسألها

عزت : إيه اللي حصل؟
كمال : حمدا لله على السلامة يا بطل
عزت : تعالى يا يوسف.. تعالى في حضنى.. الحمد لله.. هما راحوا فين؟.. وحضرتك كدا شكلك اللي خلصتنا..
كمال : على ما تحكي له أغير العجلة
عزت : خلاص يا مريم نحكي بعدين.. دلوقت نغير العجلة
كمال : أنا اغيرها.. حاول انت تفوق.. اغسل وشك بشوية ميه انت هتسوق العربية
عزت : أنا معاك.. الميه في الشنطة جنب الاستبن

يفتح عزت الشنطة ويخرج الاستبن والكوريك وزجاجة مياه

كمال : اسمي كمال محمد.. تاجر وأدى الكارت بتاعي
عزت: وأنا عزت

يتلعثم عزت ولا يكمل اسمه وان يقول عزت جرجس فيكتفي باسمه فقط عزت.

كمال : (ضاحكا) انت فاكر إنى هزعل إنك مسيحي؟ إحنا إخوات...
عزت : اسمى عزت جرجس.. بس عرفت إزاي إنى مسيحي.. أنا مافيش صليب على إيدي .. ولا إيد مريم.. ولا يوسف.. مريم قالت لك؟
كمال : أبدا.. بس وهي بتشكر ربنا عرفت
عزت : ده الكارت بتاعي وعنواني..
كمال : انت دكتور تخدير؟.. يعنى بتاع المزاج كله.. بس بتاع تخدير وتدوخ بسرعة كدا
عزت : (ضاحكا) أصل الجرعة كبيرة شوية
كمال : انت عندك مستشفي؟ كويس.. مستشفي مريم الاقتصادي.
عزت : ده عبارة عن مستوصف دورين في عمارة.. الكشف فيها بعشرة جنية بس
كمال : شفت بقى ربنا بعتني ليه.. لأنك بتساعد عباده.. علشان كده ربنا ساعدك
عزت : تعرف إني أنا ومراتى.. إحنا المسيحين اللي في المستشفي بس.. والباقى دكاترة وعمال وممرضين مسلمين..
كمال : انت راجل جميل.. خد المسدس ده معاك
عزت : مسدس.. معقول..
كمال : بتعرف تستخدمه؟..
عزت : أنا كنت في الجيش.. عيب عليك.. وكنت ضابط احتياط.. بس ده مسدسك

كمال : لا.. ده المسدس اللي انت انضربت بيه.. شفت يا عم اهو المسدس نفسه جالك في إيدك اهه.. شفت كرم ربنا

عزت : (ضاحكا) انت كمان خدت المسدس منهم.. دا انت برنس.. انت تاجر ايه؟

كمال : مكتوب عندك منسوجات وغزول.. يعنى الهدوم اللي انت لابسها شغلنا

مريم : انت سترتنى سترة ربنا يجازيك أجرها ويسترك في الدنيا والآخرة

كمال : طريقك فين يا عزت؟

عزت : اسكندرية..

كمال : وإيه اللي جابك من الطريق ده؟

عزت : مش عارف

كمال : تصدق بالله .. أنا مش عارف إيه اللي جابني من هنا.. دي تدابير الله

مريم : ربنا بعتك تنقذنا لأنه كريم

كمال : طريقك لسه طويل ومافيش استبن معاك.. وكاوتش عربيتك نفس مقاس عربيتي.. خد الاستبن بتاعي وأنا اخد الاستبن بتاعك وأصلحه بكرة

عزت : ليه؟.. كفاية كده قوي.. أنا أصلح الاستبن

كمال : أصلا اللي هايشوف الكاوتش هايعرف إن ده طلقة رصاص.. وحاجة من الاتنين.. يا إما يستغلك.. أو يبلغ البوليس.. دى طلقة رصاصة يعنى مطاردة

عزت : أول مرة أقابل ملاك في صورة إنسان

كمال : الحكاية بسيطة قوي.. يللا مافيش وقت

مريم : انت الأخ اللي لم تلده أمي.. ربنا يسترك زي ما سترتني وينقذك من أي أذى زي ما أنقذتني انت رفعت راسي
كمال : يا دكتورة إحنا اخوات.. يللا اركبوا
عزت : إيدك يا كمال سلم عليا.

يلتقط عزت يد كمال ويحاول تقبيلها فينتزعها كمال منه ويتعانقان في حب ودموع عزت تملا عينيه

كمال : لف بالعربية لازم نغير الطريق.. هنرجع تانى.. ممكن حد يستنى قدام.. بعد الطلقة اللي خدها والعملية اللي باظت.. ده تار.. بعد حوالي اتنين كيلو ندخل يمين.. وبعد اتنين كيلو كمان ندخل المنصورة ومنه على الطريق الزراعي

يستقل كل منهم سيارته وينطلقان خلف بعضهما

(٦)

يعود كمال إلى سيارتة وهو يطير من الفرح بعد أن وفقة الله في إنقاذ امرأة من مخالب ذئاب بشرية خسيسة وتحطيم أسرة كاملة باغتصاب الزوجة المسكينة الضعيفة وأفشل مخططهم في سرقة السيارة وجد كمال التليفون يسجل عددا كبيرا كبير من الاتصالات من صديقه رمزي فرد عليه

كمال : ايوا يا رمزي
رمزي : ايوا إيه وزفت إيه يا كمال؟.. طمنى يا عم
كمال : أنا لسه راكب العربية من ثانية.. دا انت كأنك معايا
رمزي : لا أنا ما بطلتش اتصال.. حصل إيه؟.. انت كويس
كمال : أنا كويس.. كله تمام
رمزي : يعنى سليم؟.. طمنى
كمال : صاغ سليم كله تمام
رمزي : احكى لى إيه اللي حصل

بدأ كمال يروي ما حدث لرمزي الذي رفض أن يتظر حتى وصول كمال إليه ويحكي له ما حدث وهو يتابع سيارة عزت التي أمامه حتى لا يخطئ الطريق ويتعامل مع عزت بأنوار السيارة والكالكس

(٧)

مريم تدخل في بكاء شديد دون توقف وكلما تخيلت أن ينتهك عرضها يزداد انتحابها وعزت ينظر إليها ودموعه تسيل على خديه غير مصدق ما حدث فكيف تم الاعتداء عليه وكادوا أن ينهشوا عرضه فيتمتم بصوت يملأه الدموع نشكرالله

عزت : خلاص يا حبيبتى ربنا سترها..
مريم : كانوا هينهشوا شرفي.. الكلاب.. أنا كنت خلاص قررت الانتحار.. إزاي أعيش بعد كده؟.. وإزاي أحط وشي في وشك؟.. إزاي؟.. بس كان صعبان عليه يوسف
عزت: الحمد لله يا مريم ربنا سترها.. أنا اللي كنت هاحط وشي في وشك إزاي وأنا ما قدرتش أحميكى.. ربنا سترها علينا وكان فضله كبير
مريم : نشكر ربنا فضله لا وصف له
عزت : احكى لي كمال عمل إيه؟
مريم : ده ماهموش نفسه إنه كان ممكن يموت.. لأنه جاى يقف في طريقهم.. يبقى الطبيعى يموتوه تخيل في الزمن ده.. اللي الناس بتتثبت وتتسرق بالإكراه.. حد يقف كده علشان ناس تانية؟.. ومن دين غير دينه؟ (تبكى بحرقة)
عزت : كلنا اخوات.. هو انتي حاسة بأي فرق في المستشفي بين مسلم ومسيحى؟.. بتفرقى بين المرضى؟..
مريم : لا.. لا والله.. لا

عزت : ده مرض في عقول ناس عمية القلب.. والغرب بيقويها علشان الفتنة.. هو مين اللي لحق أم على جارتنا لما البوتجاز ضرب في وشها؟.. مش انتى وأنا؟..
مريم : عندك حق.. ربنا يجازيه... اللي عمله كمال دين في رقبتي.. ده كان عارف إنه ممكن يموت وببساطة كمان لأنه وقف أمام بلطجية.. ده شال روحة على إيده
عزت : احكي بقى وكفاية دموع

يرن تليفون عزت فينظر عزت فيجد رقم عمه خلة أبو مريم فينزعج فماذا يقول له لأنه يعرف أن عمه لو علم بما حدث سيصل إلي الاسكندرية قبلهم بالطائرة من الصعيد

عزت : ده عمى.. أبوكي يا مريم.. كفاية عياط هاتخضيه وتلاقيه سابقنا بالطيران

مريم تدخل في نوبة من البكاء ما إن عرفت أن أباها هو المتصل

عزت : مافيش فايدة.. الو.. أهلا يا عمى خلة..
خلة : مريم بتعيط ليه؟ إنت مزعلها؟ ادينى مريم
عزت: حاضر هاديك مريم..
(صمت) معقول أنا هزعلها؟.. اهي معاك اهه
مريم : (ببكاء شديد) الو.. بابا أنا اتخطفت وربنا نجانى
عزت : كمال بيشاور يا مريم.. سلمى عليه خلاص وصلنا المنصورة الحمد لله
(بصوت مرتفع): سلام يا كمال..

يقف عزت بالسيارة وينزل ليصافح كمال هذا الرجل الشهم الذي أنقذه وأنقذ عرضه ورفع رأسه ونزلت مريم لتصافح كمال فيتصافح الجميع ويتعانق عزت وكمال وعلى التليفون العم خلة ينتظر مريم

كمال : خلى بالك من نفسك وربنا معاكم الطريق ده ونس ومافيش منه مشكلة
عزت : مهما شكرتك مش كفاية.. بالنسبة للعجلة قبل ماتوديها تتصلح شيل الكاوتش المصاب بالرصاص بنفسك ماتخليش بتاع الكاوتش يشيله.. أنا خايف البلطجية يلفوا على بتوع الكاوتش ويسألوا عن الكاوتش المضروب بالرصاص
كمال : (يضحك) حاضر.. أنا كنت هاعمل كده
مريم : سلام يا أخي.. يا أعز من أخي
يتحرك الجميع كل في اتجاهه وتكمل مريم مكالمة والدها
مريم : ده يا بابا اللي ربنا بعته يخلصنى من الكلاب..

وتحكى مريم لوالدها الحكاية كلها وعزت دموع الفرحة على خديه

(٨)

وصل كمال إلى شقته أحس أنه وصل إلى بر الأمان ولا يبالغ إن قال أنه ولد من جديد فكان بينه وبين الموت ضغطة زناد فقط لكن الله مع العبد ما دام العبد في عون أخيه وما إن فتح الباب ودخل شقته حتى استقبله ابنه أحمد وعمره عشرة أعوام وهو ابنه الوحيد وجاء بعد سنوات من الدعاء والصبر استقبله أحمد فاردا ذراعيه وداخلا في حضن أبيه صائحا

- بابا.. بابا

أخذه كمال في حضنه ولسان حاله يقول كنت لن أراك مرة ثانية ويأتيه من الداخل صوت زوجته كريمة والتي لا تحب إلا أن تكنى بأم أحمد أكثر من اسمها كريمة

- حمد لله علي السلامة.. اتاخرت ليه؟
- مافيش.. انتو أخباركم إيه؟

تخرج أم أحمد مسرعة تفاجأ بشكل كمال المتعب وملابسه التي يعلوها التراب وكأنه خارج من معركة حرب شوارع فتقترب من زوجها وتقبله وقد تغيرت ملامحها جزعا عليه

- فيه إيه؟.. مال هدومك مبهدلة كده؟.. وإيه التراب ده كله؟
- دى حكاية كبيرة.. أحكيها وأنا باكل.. آخد دش وأنزل التراب دا الأول وانتى جهزي العشا واحكى لك وأنا باكل

يدخل كمال الحمام وتحضر له زوجته ملابسه وتذهب لتحضير العشاء وتجلس تنتظره هى وأحمد وعلى وجههما علامات القلق
يجلس كمال إلى السفرة وما إن يجلس على الكرسي حتى يحس بشيء من الراحة بعد المعركة التي خاضها وانهكته نفسيا قبل أن تنهكه بدنيا ويبدأ في سرد القصة وما حدث والخطر الذي تعرض له وزوجته وابنه قد توقفا عن الأكل وعاشا في القصة بكل حواسهما ورغم أن كمال معهم إلا أنهم يتملكهم الخوف عليه

- معقولة يا كمال تعرض نفسك للموت؟ كنت اتصل بالبوليس
- يكون الدنيا خربت.. دي الثانية تفرق
- خد رقم العربية واتصل والبوليس هيمسكه
- أنا تخيلت نفسي مكانهم.. تخيلت أن الست اللي بيخطفوها انتي والولد أحمد.. يعنى ممكن يحصل لنا.. ماقدرتش انتظر
- ربنا يجازيك خير بس كان ممكن تروح فيها
- انتي ناسية أنى كنت في الجيش في الصاعقة
- حمدالله على السلامة يا بطل
- انتوا مش هاتكلوا؟.. أخبار الشغل إيه؟
- آه .. على فكرة الشاذلى بعت لتحصيل الشيك النهارده

كمال : آه ميعاده كان من أسبوعين.. طيب والمهندس طارق الديب أخبار الشيك اللي عليه إيه؟ ميعاده من شهر.. والشيك التانى ميعاده هل خلاص
أم أحمد : رمزي اتصل عليه كتير بس ما ردش علي التليفون
كمال : رمزي ماقاليش ليه؟
أم أحمد : تلاقي رمزي ما رضيش يقلقك.. هو رمزي كلمك؟

كمال : كتير.. لأنه كان قلقان عليا ف الموضوع اللي قولتلك عليه فنسى موضوع المهندس طارق والشيك
أم أحمد : أنا يا كمال بخاف من شغل الشيكات.. الكاش أأمن
كمال : هو حد لقي الكاش وقال لأ؟.. وعلي رأى المثل إيه اللي جبرك على الشيك قال السوق التعبان
أم أحمد : على فكرة في بنت يتيمة بتتجوز.. الحاج عبد الرحيم شيخ الجامع جابها وأنا اديتها بوتجاز من المخزن اللي إنت عاملهم للأيتام.
كمال : برافو عليكي.. إن شاء الله في ميزان حسناتك
أم أحمد : حسنات إيه؟.. دي فلوسك انت
كمال : ما هو انتي هتاخدي زيي لأننا أسرة واحدة

يمسك كمال التليفون ويخرج كارت عزت ويتصل به للاطمئنان عليه

كمال : الو.. عزت.. انت فين دلوقتى؟ طمنى عليك
عزت : انا دخلت الاسكندرية خلاص وداخل على الكورنيش.. انت عامل ايه؟
كمال : أنا تمام.. انت تمام؟
عزت : البركة فيك إني تمام
كمال : دى أفضال ربنا علينا.. وأم يوسف عاملة إيه؟
عزت : خد اهه عايزة تكلمك
مريم : أيوا يا كمال يا أخويا ويا ساترني
كمال : حمدا لله على سلامتكم.. خدى أم أحمد هاتكلمك اهه عايزة تطمن وتتعرف عليكي
يعطي التليفون لزوجته

كمال : أنا داخل أنام لأني مش قادر... هاتي لي الشاي جوه

يدخل كمال غرفة النوم وزوجته تدخل المطبخ لعمل الشاي وفي يدها التليفون تتحدث مع مريم وكأنها تعرفها من سنين وأحمد يفتح التلفزيون ويجلس أمامه

(٩)

وصل كمال مكتبه ودخل إلى غرفته وتبعه حامد الساعى بقهوته المعتادة وكل فكره منصب على شيكات الشاذلي كيف يدبرها وهذا الرجل لا يعرف الظروف قط.. هو فقط يعرف طريقة أخذ رفض على الشيكات ثم النيابة والمحاكم.

أخذ التليفون وراح يتصل بالمهندس طارق الذي اشترى البضاعة ليسدد ما عليه من شيكات قد حل موعدها منذ شهر لكن لا يوجد رد راح يكرر الاتصال دون فائدة.. أحس بقلق يسرى بداخله وأن الدنيا تضيق عليه.. ضغط على زر استدعاء السكرتيرة فدخلت وهى فتاة في العشرين تدعى أمال

- افندم كمال بيه
- هاتى ملف الحاج الشاذلى ومهندس طارق
- حاضر يا افندم
- فين أستاذ رمزي؟
- لسه ماجاش
- اتصلى عليه استعجليه
- حاضر

تخرج أمال فتجد رمزي في وجهها

- السلام عليكم
- اتاخرت ليه؟
- كمال بيه وصل؟

- من أكتر من ساعة وسأل عليك
- أنا داخل اهه

يدخل رمزي مسرعا إلى غرفة كمال ويقابله كمال بلهفة

- السلام عليكم
- إيه يا رمزي اتاخرت ليه؟
- عديت على المخزن.. انت أخبارك إيه دلوقتى؟
- انت ما قولتليش علي الشيكات امبارح ليه؟
- انت كنت في معركة امبارح .. اقولك ايه بقى
- طارق كده شيكاته كلها حل ميعادها.. باتصل بيه وتليفونه مقفول
- انا باتصل من يومين.. دلوقتى أروح له وأقابله
- انت عارف يا رمزي إنه واخد البضاعة اللي جايه من الشاذلى كلها.. يعنى مليون ونص
- عارف والله والشيكات معايا.. واحنا علينا للشاذلى نفس المبلغ
- الشيكات ميعادها فات والشاذلى يا رمزي ما يعرفش أبوه
- عارف ربنا يسترها وأنا رايح فورا... بس هو راجل محترم وعمره ما اتأخر قبل كده
- علشان كده أنا قلقان.. ده كان بيدفع قبل ميعاده.. أكيد فيه حاجة
- ربنا يسترها وكمان عمره ما قفل التليفون.. يمكن مسافر
- ده التفسير الوحيد لأنه راجل محترم وتاجر بجد
- أنا ماشى.. سلام
- طمنى يا رمزي اتصل بى
- حاضر حاضر

يخرج رمزي ويمسك كمال بالدوسيهات لعله يجد مخرجا من تلك المشكلة.

(١٠)

يجلس عزت وزوجته مريم يشربان الشاى بعد تناول الإفطار وبجوارهما ابنهما يوسف يلعب بقطاره الذي اشتراه له جده خلة ولا يشغل بالهما إلا ما حدث وكيف أن الله حفظهما بمساعدة الرجل الكريم الشهم كمال

يرن جرس الباب فينادى عزت على يوسف
عزت : افتح يا يوسف
يهرول يوسف إلى الباب وما أن يفتح حتى يصيح فرحا
يوسف : جدو جة.. إزيك يا جدو؟
خلة : ازيك يا روح جدو
عزت : أهلا يا عمى

يندفع خلة إلى الشقة وخلفه زوجته أم مريم وعيناه على ابنته فيهما ألف سؤال ويكاد قلبه أن يقفز خارج صدره ليحتضن مريم ابنته وأول فرحته

خلة : مريم بنتى إيه اللي حصل؟
تصرخ مريم فرحا : بابا.. ماما

وتسرع إلى والدها وتقبل يده وترمى نفسها في حضن أمها وتترك لدموعها العنان.. ينظر خلة لعزت في خوف من انهمار دموع مريم فيرد عزت مسرعا

عزت : والله يا عم مريم صاغ سليم ما حصل حاجة
مريم : والله يا بابا أنا كويسة مافيش حاجة وشالك أبيض وأنا قلت لك واحنا في العربية وبعد ما وصلنا.. تعبت نفسك ليه؟
خلة : إزاي يا مريم وهو أنا أصلا نمت ولا شوفت النوم
أم مريم : والله يا بتي إحنا قاعدين الليل نستنى نور الصبح لجل نيجى
عزت : مرحب بيكو يا عمى
مريم : أمى عاملة إيه وكيفك؟
أم مريم : أمك من ساعة ما سمعت الحكاية هاتموت.. ما ردت روحي إلا الحين بس
عزت : الفطور يا مريم تلاقيهم ما فطروش
خلة : ولا اتعشينا كمان يا عزت.. من ساعة ما حكيتو الحكاية السودة دي وأنا الغم راكبنى حاسس إنكم مخبيين حاجة.. طلعت خدت الطيارة
مريم : والله يا بابا أنا صاغ سليم والبركة في ربنا وكمال
عزت : الحكاية كانت زى الكابوس
خلة : يا بنتى أنا أبوكي.. صارحيني انتى كويسة؟
مريم : أنا زى الفل يا بابا.. ربنا كبير يا بابا وسترها معانا.. بعت لنا ملاك اسمه كمال خلصنى من إيدهم.. والله انا كويسة اطمن يا حبيبى
خلة : عايز أقابل كمال ده.. لازم أروح له.. لازم أشكره بنفسي ده اللي عمله فوق راسي
عزت : ده في المنصورة يا عمى
خلة : إن شاء الله يكون في آخر الدنيا
عزت : حاضر يا عمى .. حاضر
خلة : أطلبه حدد معاد

عزت : حاضر نفطر الأول

تدخل مريم مسرعة للمطبخ لتحضير الإفطار وتتبعها أمها لتساعدها وتطمئن عليها.. ويخرجان بالفطور ليجهزا السفرة

مريم : يللا الفطور
يوسف : يللا يا جدو تعالى جنبى
خلة : حاضر يا حبيب جدو
يجلس الجميع وتجلس مريم بجوار أمها تتهامسان

(١١)

قلق كبير بدأ يتسلل إلى قلب كمال... هناك كارثة تدنو منه كيف يدفعها بعيدا عنه وراح يلوم نفسه لماذا باع الصفقة كلها لتاجر واحد مهما كانت أمانته.. كان يجب عليه أن لا يضع البيض كله في سلة واحدة.. جاءه صوت السكرتيرة عبر تليفون المكتب الداخلى ليخرجه من هلاوس أفكاره التي تضغط فوق صدره

السكرتيرة أمال : الحاج شاذلي
كمال : أنا جاى استقبله

يذهب كمال مسرعا إلى باب غرفته ويفتحه ويستقبل ضيفه الهام

كمال : اتفضل يا حاج.. أهلا بيك
الشاذلى : السلام عليكم
كمال : عليكم السلام .. اتفضل يا حاج.. نورت المكان

يذهب به إلى انتريه الضيوف تاركا المكتب

كمال : اتفضل يا حاج استريح
الشاذلى : شكرا كمال بك

يدخل حامد الساعى مسرعا

كمال : قهوة الحاج بسرعة يا حامد
حامد : حاضر يا فندم
الشاذلى : مافيش داعى للتعب يا كمال بيه
كمال: إزاي؟ ما يجيش من بعد خيرك
الشاذلى : العفو العفو
كمال : أنا عارف إننا متأخرين في سداد الشيكات بس إنت عارف التحصيل فيه مشكلة شوية وحركه البيع في البلد نايمة حبتيين
الشاذلي : أنا عارف يا كمال بيه.. عارف كل إللى بتقوله علشان كده أنا جاى أعرفك إن الشيكات اشتريت بيها بضاعة.. والله غصب عنى قله السيولة بتطرنا
كمال : (يرد بألم) آآآآآه.... والشيكات مع مين يا حاج شاذلي؟
الشاذلي : تاجر كبير في اسكندرية كان عنده بيعة غزل كويسة والغزل اليوميين دول شغال حلو علشان مشكلة الدولار
كمال : اسمه إيه يا حاج؟
الشاذلى : (يرد بثقة) الحاج سمير الشحات.. دا تاجر كبير
كمال : آه أعرفه كويس.. كويس قووي.. ربنا يستر يا حاج شاذلى
الشاذلى : ليه بس؟ دا راجل طيب وآدى رقم موبايله
كمال : (يأخذ رقم الموبايل) كده الشيكات زمانها أخدت رفض ده يا حاج شاذلى.. دا عامل زى القطر
الشاذلى : لا لا مش للدرجة دى يا كمال بيه.. وبعدين مش إنت بعت البضاعة ومعاك شيكات من المشترى بدل الشيكات دي؟
كمال : آه.. آه ربنا يسهل.. وهو هيوافق
الشاذلى : يا عم كمال لو ما وافقش سلم الشيكات لأى تاجر تاني وخد البضاعة وسيلها
كمال : (بأسى) ربنا يسهلها يا حاج

الشاذلى : أستاذن أحسن مستعجل شوية.. عندى شوية مصالح.. أنا جيت أعرفك بنفسي وأتأسف.. والله غصب عنى.. أنا ما رضيتش أتأسف بالموبايل لأن مقامك كبير عندي

كمال : حصل خير يا حاج وربنا يسترها

الشاذلى : هه.. سلام عليكم

كمال : وعليكم السلام

(١٢)

جلس كمال في بلكونة شقته وراح ينظر إلى السماء ويدعو الله بقلبه دعاء خفيا يطلب الفرج من صاحب الكون صاحب كل شيء فالأحداث تهرول بكمال وكأنها في سباق مع الزمن.. فقد تم تسليم شيكاته لسمير الشحات وهذا معناه أنه لابد من الدفع قبل اتخاذ أي إجراء ضده، فهذا الرجل صلد كالصخر لا يعرف الظروف ولا يعترف بمبررات الناس. أيقظه من دعاءه وتوسلاته وخوفه صوت رنين موبايله الذي أكد ما يجول بخواطره.. نظر إلى الرقم وابتسم.. إنه رقم البنك.. رقم مدير الفرع ابتسم كمال محدثا نفسه

- بسرعة كده يا حاج سمير؟. كده يبقى خد رفض على الشيكات وآدى البنك يتصل علشان أغطى الشيكات

لم يرد كمال على التليفون إلى أن سكت الرنين

دخلت عليه زوجته كريمة : ماردتش على التليفون ليه؟
- ماعنديش رد دلوقتي.. فيه مكالمة هاعملها وبعدها أرد
- طيب قاعد في الضلمة ليه؟ ما تقيد النور
- هدوء.. كده أحسن.. عايز قهوة
- حاضر.. عينيا

يأتى صوت رنين الموبيل مرة أخرى فينظر كمال فيجد رقم مدير البنك فيحدث نفسه

- مديرالبنك تانى؟.. يبقى فيه كارثة كده.. الشيكات خدت رفض

فيرد عليه
- السلام عليكم.. أهلا سيادة المدير.. التليفون نور
- أهلا أستاذ كمال.. قولى أخبار حضرتك إيه؟؟
- الحمد لله.
- إنت كنت مسافر والا إيه؟.. أصل ليك ثلاثة شيكات أخدوا رفضومتأخرين شهر.. أنا قلت إنك أكيد مسافر.. إنت عمرك ما اترد لك شيك
- نفس الحكاية معايا شيكات على عملاء ولا يوجد رصيد.. بس أنا ما باخدش رفض.. أشكرك على ذوقك وكرمك في إبلاغي
- انت من العملاء المحترميين ولازم نبلغ عملائنا
- أشكرك.. أشكرك
- السلام عليكم
- عليكم السلام
تدخل زوجتة بفنجانين من القهوة وتجلس بجواره ليشربا القهوة في هدوء
- فيه إيه يا كمال؟
- شيكاتى اللي أخدها الشاذلى اتردت
- لأن طارق ما دفعش
- صح بس هو رفض ياخد رفض
- دى حركة جدعنة منه وهاتعمل إيه؟
- هو ما أخدش رفض علشان يقدر يستخدمهم.. يعنى يديهم لتاجر تاني وده اللي حصل.. اداهم لتاجر في الاسكندرية.. ربنا يسترها من عنده
- اسمه إيه التاجر اللي خد الشيكات؟
- سمير الشحات

- أخباره إيه؟
- ده يهودى

أراد أن يتصل بسمير الشحات لكن الوقت كان متأخرا ولا يريد أن يسبب له أي إزعاج.. فهو في حاجة إليه وأيضا لم يعد رمزي من سفره إلى طارق الديب لأن المسافة بعيدة فهو في المنيا
فحدث نفسه : يبقى بكرة نتصل والصباح رباح
راح يرتشف القهوة في صمت وكريمة راحت في بكاء مكتوم.

(١٣)

كم هى صعبة لعبة انتظار المجهول.. وأنت لا تعرف أين تقف ولا كيف تسير.. فقط مفاجأت وأنا أكره المفاجأت فرمزي معه بعض الأخبار ولكن هل قابل طارق الديب أم لا؟.. ليس لدى إلا الانتظار.. إنه لم يقابله حتى الآن هكذا قال لى.. لقد وصل المنيا متأخرا
رن التليفون نظر كمال وتمتم: ربنا يلطف يا رمزي رد مسرعا

- رمزي إيه الأخبار؟ كلمت طارق؟
- الساعة دلوقتي لسه سبعة وأنا رايح عليه لأن تليفونه لسه مقفول
- وأنا كمان في طريقى للمكتب
- وأنت رايح المكتب بدري ليه؟
- هو انا بيجيلي نوم دلوقتي يا رمزي ربنا يسترها
- كله خير وربنا يسهلها هاطمنك إن شاء الله

يصل كمال مكتبه ويدخل غرفته في سرعة ويتبعه الساعى بفنجان القهوة المعتاد.. يجلس ثم يبدأ في الاتصال بسمير الشحات وكأنه طالب ينتظر نتيجة التخرج

- الو.. سمير بيه.
- ايوة
- أنا كمال محمد..
- أهلا أستاذ كمال.. مرحب بيك.. أخبارك إيه؟
- الحمد لله.. أخبار صحة حضرتك إيه؟

- الحمد لله
- ليا عند حضرتك طلب
- إنت تأمر
- بالنسبة للشيكات اللي عند حضرتك اللي ادهالك الحاج الشاذلى
- آه.. دي مع الإدارة
- مدير البنك لسه مكلمني.. الشيكات أخدت رفض
- أنا آسف بس ده شغل الشئون القانونية.. أى شيك ييجى ميعاده ومافيش رصيد للشيك بياخدوا رفض على طول.. شغل محاميين بقى.. عايزين يبينوا إنهم شغالين
- طيب كانوا اتصلوا بيا
- أنا ما اعرفش حكاية الرفض دي إلا منك دلوقتى.. بس كده معناها يا كمال بيه إن مافيش رصيد في الحساب
- إنت عارف يا حاج سمير لما يكون في تحصيل بندفع.. والشيكات دي بتاعت بضاعة أنا بعتها ومعايا شيكاتها ممكن أبعتهالك وآخد شيكاتي.. هو تاجر كبير برضه
- مين هو
- طارق الديب
- آه آه.. عارفه طبعا دا راجل محترم خلاص مافيش مشكلة ابعت الشيكات وخد شيكاتك
- ماشى يا حاج.. شكرا بعد بكرة أكون عند حضرتك بالشيكات
- تنور في انتظارك.. سلام عليكم
- وعليكم السلام

أحس كمال وكأن حجرا رفع من فوق صدره وأحس بسعادة حرم منها كثيرا وراح يشرب قهوتة بتلذذ

أحس أن الدنيا بدأت تبتسم وأن السعادة بدأت تسري في أعضاءه ويحس بالسعادة تسري في أوصاله كأنها لسعة حب جميلة.. على الفور اتصل بزوجته ليخبرها أن تتهيأ للخروج ليتناولا الغداء بالخارج احتفالا بالخروج من هذه الكبوة

- كريمة البسوا.. هنتغدا برا
- بس كده.. أنا جاهزة ومستنياك

(١٤)

جلس كمال وزوجته في البلكون ليشربا القهوة.. فكم هي جميلة من يد زوجته.. وابنهما في الصالة يلعب ماتش الكرة على بلاى استيشن فالسعادة سحر يحول الإنسان إلى طائر يرفرف بجناحيه في هواء الأحلام

- عايز أروح قريتنا وحشتني قوى ووحشني بيت أبويا
- يللا من بكرة.. وأختك هاتفرح بيك قوي
- هى اللي فاتحة البيت هي وجوزها
- ما انتوا اخوات وجوزها ابن عمك زى ما أنا بنت عمك
- وحشتني قعدة المصطبة بالليل في الفراندا
يرن جرس التليفون فيرد كمال دون أن يرى اسم الطالب
- السلام عليكم
- وعليكم السلام.. إزيك يا أبو كمال؟
- مين معايا؟
- عزت دكتور المزاج.. إنت مش مسميني كده؟
- أهلا عزت.. أخبارك إيه وأخبار المدام ويوسف؟
- كله تمام.. أنا طول اليوم بحاول اتصل بيك وانت تليفونك مشغول
- آه.. شوية شغل مع شوية مشاكل
- فيه واحد صعيدي عاوز يزورك أو تزوره يبقى عمي خلة أبو مريم
- أهلا بيه.. دا أنا جاي اسكندرية بعد بكرة
- (في سعادة) معقول؟ أهلا بيك انت تنور الدنيا كلها مش اسكندرية بس

- (ضاحكا) ماشى يا عم عزت أول ما أوصل هارن عليك
- قولى الأول انت بتحب السمك والا لأ؟.. لو لأ قول ما تتكسفش
- هو في حد يقدر يقاوم السمك الاسكندراني الطازة؟
- كده أوكى.. خد عمي معاك اهو
- (خلة في سعادة) أهلا بيك يا بطل
- بطل مرة واحدة.. ماشى يا عم خلة
- انت أبو الرجال.. كيف أشكرك انت رفعت راسي.. انت عملت فيا جميل مهما قولت مش ممكن أعرف أشكرك.. العرض غالي يا ولد.. هو فيه بعد الشرف حاجة؟
- انتوا مكبرين الموضوع قووي يا جماعة
- (خلة غاضبا) كيف مكبريين الموضوع؟ انت خليت شالي زي ما هو أبيض.. إنت خليت توبي زي ما هو أبيض ونظيف.. إنت ولدي إنت في معزة عزت ومريم
- الله يكرمك
- وكمان بتحمى مسيحى.. يعنى كان ممكن تموت علشان عرض مسيحى.. دا الموت كان على بعد متر واحد.. دا انت ضربت الكلب في يده قبل ما يضربك.. يعنى يا تموت يا تعيش وتقول عادي..
- ماشى يا عم خلة.. أنا ولدك وتبقى كده العملية عادية
- انت ولد مؤدب.. وراجل من بيت أصيل ونعم الرجولة
- العفو يا عمي
- أنا في انتظارك
- إن شاء الله.. السلام عليكم

(١٥)

كان كمال يقلب في الملفات ليجد أي مخرج أو أي أموال له عند أي عميل من عملاء شركته ضمانا لما ستسفر عنه الأحداث نتيجة قلقه من رد فعل سمير وتأخر رمزي في الوصول لخبر يطمئن من ناحية طارق

رمزي يدخل على كمال المكتب فيقوم كمال من مكانه ليستقبله وكأنه يلومه على التأخير وتركه هكذا لمهب رياح هواجسه التي كادت أن تعصف بتفكيره وعقله

- سلام عليكم
- إيه يا رمزي؟.. اتأخرت لية كده؟.. يومين أنا مستنيك على نار
- أنا لسه جاى من القاهرة.. والله ما روحت بيتي
- وإيه وداك القاهرة؟.. الحاج طارق الديب مكتبه ومخازنه في المنيا.. إيه كان عندك مشوار تاني؟
- (في تلعثم) لا.. لا.. أصل.. أصل..
- (بشدة) فيه إيه؟.. بتتهته ليه؟..
- خبر مش كويس..
- آه.. آه.. قول يا عم.. قال لك ماعيش فلوس دلوقتى.. مافيش سيولة.. يا عم بسيطة.. نحاول نصبر الحاج سمير شوية
- (رمزي في حزن) يا ريت..
- (كمال في فزع) يا ريت؟.. كده فيه كارثة.. قول.. فيه إيه؟..

رمزي وكأنة يطلق رصاصة في قلب كمال

- مخازن طارق اتحرقت كلها

كمال يضع يديه على رأسه وكأنه يلطم

- يا نهار أسود.. اتحرقت إزاي وليه؟
- لسه التحقيق شغال
- دي مصيبة.. دي بلوة
- كارثة كبيرة
- اتحرق قد إيه؟
- كلها جت على الأرض.. وطارق وقع من طوله وجت له جلطة
- سترك يا رب.. سترك يا رب.. (يضرب كمال بيده على المكتب وهو يكتم صرخة).. وأنا كده رحت في داهية... كده بالبلدي لبست في حيطة..
- أنا رحت زرته في المستشفي في القاهرة.. حالته صعبة.. راح القصر العيني علشان المصاريف
- سترك يا رب.. يعنى معاهوش حتى مصاريف العلاج؟
- البضاعه كلها راحت
- سترك يا رب

أحس كمال أن الأرض تدور به وأن النهاية قد أتت وليست في الطريق أي حل يدريه كيف يخرج من هذه الكارثة.. الرجل قد انتهى تقريبا لا مال ولا صحة فكيف يسدد الشيكات إن سلمها لسمير الشحات؟.. فقط سيكون الموت كمدا.. راح كمال يسير في الغرفة ذهابا وإيابا ورمزي ينظر إليه صامتا حتى سأله

- عنده أولاد؟

- (في تأثر بالغ) الله عليك يا كمال.. إنت بتسأل على الأولاد.. ومابتسألش على الشيكات.. عنده أربعة.. ولدين وبتين.. أكبرهم ١٥سنة وأصغرهم تلات سنين
- سترك يا رب.. وحالته عاملة إيه؟
- ربنا ما يوريك يا كمال.. متأخر قوي
- وأنا أعمل إيه دلوقتى يا رب؟ ساعدنى يا رب
- العمل إيه يا كمال؟.. الشحات صعب
- (باستنكار) الشحات أخد رفض على الشيكات
- عرفت إزاي؟
- البنك كلمني وقال لي
- والعمل؟
- أنا كلمت الشحات.. وكان مفروض إننا نسافر له اسكندرية ونبدل الشيكات.. ندي له شيكات طارق وناخد شيكاتنا
- (بسعادة) وهو وافق؟
- آه وافق
- طيب خلاص مافيش مشكلة

نظر كمال إلى رمزي وكأنه قد تفاجأ من الإجابة وألقى بنفسه على كرسي فوتيه في آخر الغرفة وراح يسأل نفسه هل يفعل ذلك؟ هل يسلم طارق المريض لسمير الشحات ليسجنه؟ هل أنا أفعل ذلك؟ هل أنا أصل إلى هذه الدرجة من الأنانية؟ قطعا لا ولكن ما هو البديل؟؟. البديل هو أن أسجن أنا... نعم فالبديل سيكون سجني أنا.. يرفع رأسه لسقف الغرفة ويناجي ربه.. يا رب ليس إلا أنت أنت الملاذ وأنت الخلاص. ولا يمكن أن أسلم هذا الرجل الراقد على فراش المرض والموت للسجن.. ونظر إلى رمزي وقال:

- ازاى يا بنى آدم تفتكر إنى أعمل كده؟
- ليه بس؟
- يعنى أسلم شيكات واحد شبة ميت.. ومافيش حيلتة حاجة خلاص..
- ما يمكن معاه في البنك؟
- انت مش رحت البنك ومافيش رصيد؟.
- (يصمت كمال وكأنة يستجمع قواه) دا صديق.. واحنا أكلنا عيش وملح مع بعض.. والراجل ده ربنا يشفيه عمره ما أكل فلوس على حد.. علشان كده أنا اديته البضاعة بقلب جامد
- هاتدفع مليون ونص منين؟
- مش عارف.. البضاعة اللي عندي كلها خدها طارق الديب.. والنار أكلتها
- وحتى لو طارق خف.. هيدفع منين؟.. مافيش فلوس معاه.. النار أكلت كل حاجة
- مافيش غير رحمه ربنا.. نحاول مع الشحات
- وهو الشحات ممكن يتنازل عن الفلوس أو جزء منها؟
- يأجل شوية.. بس كده أنا محتاج أكتر من سنة.. علشان أقدر أدبر الفلوس
- سنة؟.. وكمان أكتر من سنة.. وهو ممكن يوافق؟
- نجرب.. مافيش غير كده.. نجرب

(١٦)

وصل كمال ورمزي إلى مكتب سمير الشحات وجلسا في الاستقبال بحوار السكرتيرة ينتظران الإذن بالدخول فور خروج الضيف الذي بالداخل مع سمير الشحات.. وكمال يتمتم بآيات قرأنية فقرأ معظم قصار السور وأدعية وتسابيح متوسلا لله أن يسدد خطاه في هذه المقابلة.. كان أمامهما كوبان من العصير واجب الضيافة فارتشف من أحدهما رشفة يبلل به حلقه الجاف وكأنه ينتظر الدخول إلى لجنة امتحانات في مادة صعبة

فجأة يفتح الباب ويخرج سمير لاستقبال كمال وهو رجل في العقد الرابع يميل إلى البدانة ويلبس حمالات لشد البنطال فوق بطنه المترهلة

سمير : أهلا حاج كمال.. شرفتنا اتفضل

كمال : الشرف لينا إحنا

يدخلون المكتب ويجلسون وكمال مازال يدعو الله ويرجوه أن يلين قلب سمير الشحات

سمير : اتفضل يا حاج كمال.. نورتنا

كمال : المكان منور بحضرتك.. أنا طالب من حضرتك تساعدنا شوية.

سمير : أنا تحت أمرك

كمال : بالنسبة للشيكات.. هنعمل فيها إيه؟

سمير : هتسددها

كمال : طبعا يا حاج

رمزي : يعنى شوية وقت وكل شيء يكون تمام

سمير : الشيكات ميعادها فات من ثلاث أشهر

كمال : مخازن الحاج طارق اتحرقت.. والنار أكلت كل حاجة.. بقى بالبلدي على الحديدة.. وأنا كان ممكن أسلمك الشيكات وآخد شيكاتى وخلاص.. بس ماخلصنيش لا أخدع حضرتك ولا أخلص على طارق.. لأن الضرب في الميت حرام

سمير : أولا يا حاج كمال دى أخلاق عالية وسمعتك سباقاك

كمال : شكرا يا حاج إنتم الأفضل

سمير : ثانيا أنا عرفت اللي حصل للمهندس طارق.. يعنى أصلا صعب كنت أبدل الشيكات.. لكن إنك تعمل كل ده وترفض إنك تسلم الشيكات دى أخلاق فرسان

كمال وقد أحس بسعادة لأن هذا معناه أن هناك أمل للحل فرد فرحا

كمال : يعنى حضرتك هتساعدني؟

سمير : الفلوس دى يا حاج كمال فلوس بنوك.. هو البنك ممكن يساعد؟.. البنك بيحبس بس.. على العموم معاك الأستاذ سيد مدير الشئون القانونية.. هايكمل معاك أنا مفهمه علشان أنا عندى مشوار ضرورى.. أستأذن.. المكتب مكتبكم

(١٧)

خرج كمال من مكتب سمير إلى مكتب سيد يتبعه رمزي يضرب أخماس في أسداس.. ماذا يقصد سمير؟ هل سيعطني الوقت لتحضير المبلغ أم أنه يتهرب بكلمات معسولة وينساب انسياب الماء من راحة اليد؟ كان يسير خلفه رمزي أيضا مشوش الذهن مما يرى.. نظر كمال إلى رمزي نظرة يعرفها.. تلك نظرة اليأس التي يتخللها الأمل والرجاء.. دخلا إلى مكتب مدير الشئون القانونية سيد بيك وبدأ الحوار بعد تبادل التحايا

كمال : حضرتك عارف يا أستاذ سيد علشان أجهز المبلغ ده محتاج وقت.. على الأقل سنة
سيد : سنة إيه بس؟.. انت عارف إن عليك المبلغ ده من مدة.. مش مفاجأة يعني
رمزي : أيوه عارفين.. ومسددين منه نص مليون للحاج الشاذلى.. المبلغ كان اتنين مليون.. تم التحصيل من الحاج طارق الله يشفيه وسددنا
سيد : ربنا يشفيه..
كمال : وانت شايف السوق.. البضاعة دى كانت كل راس مالي وضاعت.. أنا طالب مهلة.. وربنا يسهل
سيد : انت عارف زي الحاج سمير ما قالك.. فلوس بنك.. والبنك عداده شغال..
كمال : ممكن نضيف فوائد الشيكات علينا..
رمزي: يعنى هانشيل شيلتنا

كمال : وعندى بضاعة بحوالي نص مليون.. هابيعها وأبعت تمنها لكم على طول
سيد : عبارة عن إيه البضاعة؟
كمال : عباية حريمي موديل حكاية
سيد : ابعتها وخد شيك.. ويبقى الباقى مليون..
كمال : اديني سنة
سيد : لا.. لا.. مستحيل.. مش في قدرتى.. دي أكبر مني
رمزي : نقول ست أشهر
سيد : أنا قدرتي تلات أشهر فقط.. أو تحاولوا مع الحاج سمير
كمال : إنت الخير والبركة يا سيد بيه
سيد : أقول لك.. ربنا يسهلها
رمزي : (هامسا لكمال) حاول مع سمير
كمال: أحاول مع مين ..دا سبنا ومشى.. واحنا جايين لة مخصوص
كمال: ماشى يا أستاذ سيد.. نفسك معانا.. سلام عليكم
سيد : لا هانتغدا سوا
كمال : أنا معزوم.. خليها مرة تانية وغدانا وشاينا إنك تكلم الحاج سمير في موضوعنا.. حنن قلبه علينا
سيد : ربنا يقدم ما فيه الخير
كمال ورمزي : سلام عليكم

(١٨)

خرج كمال ورمزي من مكتب سمير ووقفا أمام العمارة فهي تطل على البحر.. نظر كمال إلى البحر عبر الشارع وخلفه رمزي وقف أمام البحر وأخذ نفسا عميقا من هواء بحر إسكندرية المنعش لعله يخمد النيران المتأججة في داخله فالصراعات داخل كمال كحرب شرسة لقد طغت المادة على الجميع والكل تحول إلى آلات حاسبة تحسب فقط.. فالرجل يحتضر ولا يملك دواءه ولا طعامه وهو يريد التأجيل فقط.. نار في أعماق كمال كلما تذكر معاملة سمير وسيد.. أنا لم أطلب منه أن يتنازل عن المال.. فقط أريد بعض الوقت.. ما هذه القلوب الصلدة التي لا تلين إلا لصوت الأموال؟.. نظر إلى رمزي نظرة كلها ألم

- هنعمل إيه يا صاحبي؟
- العمل عمل ربنا.. سيبها لله يا كمال.. والله ربنا ما هينساك وهتفرج

جاء رنين الموبيل ليخرجة من هذه الدائرة فعزت بتصل بهم

- انت فين يا كمال؟
- أنا على البحر في سيدى بشر
- إحنا مستنينك في المطعم
- مطعم إيه؟
- أكبر وأجمل مطعم على الكورنيش المطعم داخل البحر يا صاحبى هابعتلك اللوكيشن على الوتس

استقل كمال سيارته وذهب بصحبة رمزي للمطعم بينما عقله لا يكف عن التفكير

(١٩)

دخل كمال ورمزي المطعم ليجدا عزت وزوجته وأبوها خلة ينتظرونهما.. منظر البحر من المطعم جميل فالماء حول المطعم من كل مكان.. والكل قد استقبله بترحاب وكأنه أحد أفراد أسرتهم.. ما هذا الحب وهذه الأخوة الذين نزلا على قلبه المفعم بالأسى بردا وسلاما

عزت : أهلا يا كمال..
كمال : أهلا بيك. رمزي صديقى ومدير الشركة
عزت : أهلا رمزي
رمزي : أهلا بيك
مريم : شرفتنا ونورتنا يا أستاذ كمال
كمال : الشرف لينا
عزت : عمى خلة هو عمى صح أخو أبوى وكمان حمايا أبو مريم
خلة : (بلهجة صعدية) كيفك يا كمال يا ولدي؟.. كان نفسى أشوفك.. والله أنا سعيد بيك قوي.. تعالى يا ولدي في حضنى يا حامي شرفي ورافع راسي
كمال : أنا الأسعد يا عم خلة

يتعانقان في حب وخلة يشعر أنه وجد ابنه الغائب منذ سنين

خلة : تعرف يا بطل.. انت عندي كيف ولدي جمال
كمال : ده شرف لينا انت مسميه جمال على اسم الزعيم

خلة : ايوة على اسم البطل برضه اللي رفع راسنا كلنا
رمزي : انت راجل أصيل يا عم خلة

نظر خلة بعين الخبير في عيني كمال ولمح فيهما الحزن يرنو من مقلتيه

خلة : مالك يا ولدي فيه إيه؟.. فيه حزن بيطل من عينيك يا كمال
عزت : صح يا عمى أنا حاسس إنه حزين
كمال : ربنا ما يجيب حزن.. الدنيا ومشاغلها
رمزي : أبدا.. واحد صاحبه مريض شوية
خلة : ربنا يشفيه.. أنا في انتظارك يا بطل خليك معانا
رمزي : إيه يا جماعة؟.. كل ده سمك.. هو لسه البحر فيه سمك تاني؟ (الكل يضحك)
مريم : ده أقل واجب
خلة : مقامك عندنا كبير يا كمال
عزت : اتفضلوا.. قبل ما السمك يبرد

راح كمال ينظر إلى البحر يشكو له همه وخوفه من الغيب فماذا تخبيء له الأيام؟.. وإلى أين سيصل به المطاف؟.. لا يعلم هذا الا الله وراح يشكوا همه وحزنه وخوفه إلى خالقه فلا سبيل للنجاة سواه

(٢٠)

مضى أكثر من شهر على لقاء سمير الشحات وهو يحاول في كل اتجاه.. جلس كمال في مكتبه ينتظر عودة رمزي من الاسكندرية ومعه شيك العبايات فقد ذهب بكل ما لديه من بضاعة ليفك شيئا من العقدة التي ربطت بشدة على عنقه.. إنه يحتاج إلى عام فقط ليستطيع جمع هذا المبلغ.. وواتته فكرة ظن أنها الحل.. لماذا لا يأخذ قرضا من البنك ليفك أسره من تلك الأزمة؟.. فليجرب.. وعلى الفور طلب مدير البنك

- السلام عليكم حازم بيك
- أهلا كمال بيك
- كنت عاوز أكلمك في موضوع قرض
- اتفضل
- عاوز مليون جنية قرض لأنى عاوز اتوسع ونشتري بضاعة
- للأسف هو فيه مشكلة دلوقتى يا كمال بيه
- مشكلة إيه بس؟
- الشيكات اللي خدت رفض دى بتخلى الدراسة صعبة وبسبب الشيكات المرتجعة بالرفض دايما اللجنة بترفض
- ممكن نخلي المبلغ نصف مليون
- الرفض بسبب إن فيه شيكات أخدت رفض مش علشان قيمة المبلغ
- يعنى صعب؟
- للأسف..

أحس كمال أن حجرا جديدا وضع فوق صدره وهو أن سمعته في مجال العمل قد بدأت تتأثر من جراء ما يحدث.. الآن البنك الذي طالما كان يلهث خلفه من أجل أن يأخذ قرض يرفضه الآن بسبب أن سمير أخذ رفضا على الشيكات وكان من الممكن أن يطلبه تليفونيا قبل أخذ الرفض ولو من باب التقدير ولكن هذا الرفض قد أغلق طريقا كان من الممكن أن يحل المشكلة

رمزي يدخل المكتب على كمال فرحا

رمزي: خد يا كمال الشيك اهه

كمال : جبت الشيك من الشحات

رمزي : استلموا البضاعة.. وده شيك بنص مليون.. ربنا يقوينا على الباقى

كمال : يا رب.. بس منين؟ مافيش فلوس.. هى السما هتمطر فلوس؟

رمزي : إيه يا كمال؟.. ربنا موجود..

كمال : ونعم بالله.. لازم تكون واقعى.. ولما يكون فيه كوارث أو فشل يبقى مننا ولا ملجا لنا إلا الله

رمزي : وكمان نجحت أزود المدة شهر كمان بالعافية والله

كمال : هم شادين قوى كده ليه؟ ما احنا بنصبر على الزباين

رمزي : أنا عرفت نظريتهم ودايما بيستخدموها

كمال : تبقى إيه بقى؟ يمكن نعمل زيهم

رمزي : بيقول أستاذ سيد إن الزبون بيفضل يتهرب لحد ما يصدر الحكم.. وأول ما الشيك ياخد حكم الزبون بيطلع الفلوس على طول أو بيتصرف

كمال : ممكن يكون صح مع ناس معينة.. لكن مش مع الكل

رمزي : عندي خبر وحش بس لازم تعرفه.. عرفته من مكتب سمير الشحات

كمال : إيه تاني ربنا يسترها؟

رمزي : (في حزن) المهندس طارق مات

كمال : (في صوت تملأه الفاجعة) إيه؟ امتى؟

رمزي : بقاله أسبوع

كمال : لا حول ولا قوة إلا بالله.. دا أنا كنت عاوز أزوره دا عشرة عمر

رمزي : دي أعمار يا كمال ونصيبه كده

كمال : كده خلاص أنا شيلت الشيلة رسمي.. لو كان أمل إنه ممكن ربنا يعوض عليه وييجي يوم ويسد ديونه.. خلاص قفلت رسمي

رمزي : ما هى قافلة من يوم ما جات له الجلطة والحريق

كمال : أيوه بس بقت بشهادة وفاة.. بقت رسمي.. لازم نروح نعزي.. جهز نفسك بكرة نسافر

(٢١)

نظرت إليه زوجته وهو يدخل شقته فعرفته فهناك انكسار كبير به.. ماذا بعد يا كمال؟؟ ما كل هذا الحزن وهذه الشدة ألا يوجد فجر لهذا الظلام؟.. أين نور الصبح ليزيح هذا السواد المتربع على القلوب؟.. فسألته

- مالك يا كمال؟.. فيه جديد؟
هز رأسة بالايجاب فسألت
- خير يا كمال؟
- مهندس طارق تعيشى انتي.. رحل إلى من عنده الرحمة إلى من يحنو عليه
- البقاء لله.. وعموما هو كان تعبان
- آه.. بس هو ارتاح.. أنا اللي تعبان وعايز ارتاح
- بعد الشر عليك يا حبيبي
- بكرة هاسافر أعزي مراته
- هاجى معاك
- ماشى ونخلي رمزي لأن عنده شوية شغل

دخل إلى غرفته لينام ولم يطلب عشاء أو شاي.. فالهم يرفرف فوق رأسه ويعبث بقلبه.. وصدره أصبح ضيقا

(٢٢)

وقف كمال أمام شقة طارق الديب ومعه زوجته.. لم يدخل هذه الشقة قط فقد كان لقاءه بطارق دائما في المكتب والمطاعم وكثيرا ما سافرا معا.. طرق الباب وفتحت لهما زوجة طارق.. تبادلا الترحاب ووجد صورة طارق معلقة في الصالون نظر إليها مليا ودمعت عيناه فموت طارق كان كمدا مما حدث له وانه أصبح صفر اليدين.. لا يفارق عقل كمال هذا التفكير وكأن لسان حاله يقول إنه سيحدث له مثل طارق فقد أصبح خالي الوفاض ومطلوب منه أن يسدد مليون جنية.. بادرته زوجة طارق لتخرجه من صمته

- طارق الله يرحمه كلمنى عنك كتير
- طارق أكتر من أخ رحمة الله عليه
- شكر الله سعيك يا أبو أحمد

مد يده إليها بالشيكات التي على زوجها طارق

- اتفضلي.. دى شيكات خاصة بطارق الله يرحمه

نظرت إلى الشيكات وملأتها الدهشة.. لقد حدثها طارق أن عليه شيكات بمليون ونصف لكمال ثمن البضاعة التي أكلتها النيران

- لكن انت لسه ما أخدتش فلوسهم؟

- لأ أخدتهم.. هو حولهم على البنك قبل الحريق بأسبوع وقال لي لما نتقابل أخد الشيكات
- يا حاج كمال طارق بيقولى على كل حاجة.. أنا عارفة كل شغله وقبل ما يموت قال لي على حكاية الشيكات وكان حزين علشانك.. قال بنفس الحرف أنا حاسس إني هاموت وهارتاح وكمال هو اللي هيشيل الشيلة

دخلت زوجة طارق في نوبة بكاء هيستيري مما رأت من نبل هذا الفارس.. إن المبلغ كبير ليس ألف أو اثنان أو مائة ألف إنه مليون ونصف.. كيف يرد الشيكات بهذه البساطة؟.. إنها لا تصدق ما فعله كمال.. إنها مثل أحداث صدق أو لا تصدق وهى لا تدري أنه لا يملك الآن أي شيء بعد أن فقد الأموال التي له لدي زوجها.. فكيف لو عرفت أنه أصبح مثلهم لا يوجد لديه شيء إلا ذراعيه وكده واجتهاده؟؟.. فقد ضاع رأس ماله بحريق البضاعة ومع ذلك يتنازل عن الشيكات!!... دمعت عيني كمال وزوجته وبعد أن دخلت زوجة طارق لتغسل وجهها من الدموع وأصبح كمال وزوجته وحدهما سألته وهى لا تصدق

- معقولة ترجع الشيكات.. المبلغ كبير وهو كل رأس مالنا
- يا كريمة الضرب في الميت حرام.. وهم ولاده القصر ومراته المسكينة لاقيين ياكلوا أصلا

أعطى كمال زوجته مظروف به بعض الأموال تعطيه لزوجة طارق كى تستطيع إطعام أولادها وسط ذهول زوجة طارق وبكائها الذي لم ينقطع

أغلق ملف طارق عند كمال إلا أنه كل شهر يرسل أحد العمال إلى مكتب البريد لإرسال حوالة بألفين جنية شهريا إلى زوجة طارق من أجل أولاد صديقه الأيتام فالحياة تستمر والرازق هو الله

(٢٣)

مرت المهلة منذ أكثر من شهرين كالبرق.. حاول أن ينفذ أي صفقة كبيرة لكن دون جدوى.. كلها كانت عمليات صغيرة لا تكفي إلا المرتبات والايجارات فسرت في السوق قصة الشيكات وحريق المخازن كما تسرى النار في الهشيم.. ولم يوافق أى تاجر على صفقات إلا نقدا.. فالكل فضل الكاش وقد كانوا بالأمس يلهثون خلفه بل وأتى إليه المحضر ليعلنه بحكمين لقضيتين كل منها حكمت عليه بسنتين.. فلم يجمع سمير الشحات الشيكين في قضية واحدة بل جعل كل شيك بقضية منفصلة ليضمن هرولة كمال إليه لسداد ديونه والإفلات من الحبس.. فهو مازال يظن أن كمال يماطله وأن الأحكام ستجعله يهرول إليه ليسدد ما عليه وينجو من السجن ورغم كل ما يدور فلم يصدق سمير الشحات أن كمال أصبح مفلاسا

هز كمال رأسك وتمتم ليس في الإمكان أفضل مما كان.. وقف في شرفة مكتبه ينظر إلى السماء وقد كساها السحاب حاجبا ضوء الشمس.. فالشتاء يزحف خلف الصيف الذي ولى أمام تكشير الشتاء عن أنيابه وراح هوائه الجميل يلثم وجهه

نادى كمال رمزي
- اسمع يا رمزي.. كده خلاص الدومنة قفلت
- دي أول درجة لسه بدري
- يا رمزي أنت راجل محامي.. وعارف النتيجة
- أنا هاروح للحاج سمير تانى.. وأحاول يأجل شوية أو يقسط

- يا رمزي ده عملهم قضيتين علشان ياخد حكمين.. يعنى مخطط كويس بعد ده هايسيب القضية دا حكم مافيهوش تأجيل

- عموما ده أول درجة..

- لا أول درجة ولا تانى درجة.. هانقول إيه؟.. نطعن بالتزوير؟.. الامضاء بتاعى..

- نكسب وقت

- شوف البنك فيه ميت ألف جنية.. والعربية تجيب كمان خمسين.. أنا حسيب لك توكيل تبيعها

- يا كمال ربنا هيفرجها إن شاء الله

- ونعم بالله.. تشغل المكتب وتفتح البيت لحد ما أخرج.. اهى بنت خالتك وأخت مراتك.. ومصاريف السكرتيرة والساعى ومصاريفك برضه

- والنبى بلاش الكلام ده

- وبعدين أم أحمد عارفة الشغل كويس قوى.. دى تخصص عباية حريمى.. يعنى خلى التجارة في العباية.. حتى التخصص في منتج واحد يدي شهرة أكبر

رمزي : (بصوت منغمس بالدموع) حاضر يا كمال

- بتبكي؟.. عموما أنا مفهم بنت خالتك على كل حاجة.. واحنا راضين بقضاء الله..

- انت فارس.. وراجل كريم.. بس حظك بقى

- حظ إيه؟.. أنا واثق إن ربنا هيفرجها.. بس إمتى.. دى بتاعة ربنا بقى

(٢٤)

قطع صوت أذان الفجر سكون ليل القرية وجاء منسابا عزبا يلامس تلافيف القلب وينيره ويقطع الطريق على أفكار كمال السوداء وهو جالس في الفراندا وعلى المصطبة التي صنعها والده الشيخ محمد.. ترك كمال شقتة وجاء للقرية بحثا عن الهدوء النفسي الذي افتقده وهربا من المشاكل مثل ما كان يفعل وهو صغير يهرب إلى حضن أمه كلما حلت به المشاكل أو أراد والده ضربه.. ندى الفجر مع لفعة صقيع أمشير تلامس وجنتية فالبرنده مفتوحة على الشارع وأمام البيت أرض فراغ كبيرة أصبحت من الأمتار مثل بحيرة
قام ليصلى الفجر هو وزوجته وعاد إلى الفراندا وجاءت زوجته بالشاى أبو حليب ليشق ريقه كما يقولون في قريته

- اسمعى يا أم أحمد.. الحكم تانى درجة اتخفف إلى مجموع ثلاثة سنوات.. وكده خلصت
في صوت متحشرج بالبكاء
- يعنى خلاص
- سمير رفض يقسط.. والحكم نهائى
- يعنى هياخد إيه من سجنك؟.. مش التقسيط أفضل له ولنا؟
- هو لسه فاكر إني معايا فلوس وبمثل عليه.. فالخوف من السجن هايخلينى أطلع الفلوس.. ده فكره.. المهم البنك دلوقتى فيه ميت ألف.. وده توكيل ليكى بالسحب والإيداع.. وانتى خبرتك كويسة في العباية الحريمى.. ودوري المكتب.. وماتعتليش همي.. ورمزي ابن خالتك أنا مرسيه هايعمل إيه.. وربنا المستعان

تدخل زوجته في نوبة بكاء تقطع سكون الليل وتقطع نياط قلبه وينظر إلى الأفق ويملأ عينيه من أرض قريته ومنظرها الذي يسرى في قلبه السرور بعودته لذكريات الطفولة فهى التي ولد وكبر فيها قبل أن يوضع بين أربعة جدران تنفيذا للحكم

(٢٥)

تم تنفيذ الحكم بسجن كمال وراحت زوجته تدير العمل على قدر ما معهم من مال ورفضت بيع سيارة زوجها وكذلك السكرتيرة رفضت أن تكون حملا يضاف على أم أحمد وكذلك الساعى فهما يعصرهما الحزن كأهله وراحت أم أحمد تدير العمل من بيتها وأغلقت المكتب.

رمزي وضع نفسه تحت أمرها فهى ابنة خالته وأخت زوجته وزوجة صديق عمره.. فكان يعمل كمندوب مبيعات يأتى بالطلبية ويذهب لشراء البضاعة بل وجاءت زوجته لتساعد أختها إن لزم الأمر وراحت الأيام تمر بطيئة وكئيبة بلا معنى ولا طعم وكانت تقول هى أيام فرضت علينا ليقضي الله أمرا كان مفعولا

(٢٦)

حاول عزت الاتصال بكمال أكثر من مرة لكن تليفونه كان دوما مغلقا.. مرت أكثر من ثلاثة أشهر والتليفون مغلق وتليفون المكتب لا يرد.. راوده القلق فلابد وأن يكون قد حدث شيء وجاءه سؤال زوجته مريم

- إيه يا عزت حكاية كمال؟.. لسه تليفونه مقفول؟
- أنا بحاول اتصل بيه أكتر من شهرين دلوقتى التليفون مقفول
- وتليفون المكتب؟
- جرس ولا أحد يرد..
- انا قلبي مش مطمن.. فيه حاجة حصلت أكيد
- يبقى مافيش غير انى أسافر له واشوف إيه اللي حصل؟
- امتى؟..
- يوم الخميس الجاى بعد يومين..علشان عندى عمليتين كبار

(٢٧)

أصبح الشغل الشاغل لعزت هو الاتصال بمكتب كمال لعله أحد يرد عليه لا يكل عن الاتصال ولكن لا أحد يرد.. ولكنه لم ييأس وهو يحاول الاتصال قبل أن يسافر إليهم يوم الخميس وأخيرا جاء الرد وعلم بما حدث لكمال هذا الرجل الشهم الذي أنقذه من الموت وأنقذ شرفه من الضياع ومن سعادته اتصل بزوجته مريم لتشاركه السعادة بمعرفة أخبار كمال الذي جعله وكذلك هي في منزلة الأخ الشقيق

- مريم
- أيوه يا عزت
- تليفون مكتب كمال رد
- بجد كويس ..إيه الحكاية؟
- كمال مسجون..
- يا لهوى.. ليه؟
- الساعى بيقول إنه ضمن واحد في شيك بعشرين ألف جنية وصدر حكم غيابى عليه
- (في دهشة) معقولة؟.. كمال معهوش عشرين ألف جنية؟
- ده اللي قاله الساعى.. وبيقول البضاعة اللي باعها للتاجر كلها اتحرقت ومافيش سيولة.. وهما بيجهزوا الفلوس
- انت هاتعمل إيه؟
- أنا عملت مش لسه هاعمل.. سحبت الفلوس وفي طريقى للمحافظة
- انت حبيبى.. مع السلامة

(٢٨)

انطلق عزت كالسهم لينقذ من أنقذه وأنقذ ابنه فلذة كبده من الموت وأنقذ شرفه من الوحل لقد تربع كمال في قلب عزت وعائلته..
يومان وعزت يبحث من قسم إلى قسم ومن مكتب إلى مكتب ليصل لكمال ومكان سجنه ويتصل بالمحامى الخاص به ليساعده في التوصل لكمال

وصل لمكان كمال ووقف أمام السجن وتمتم: هنا يحبس الفارس الهمام خلف القضبان.. يحجز من يعرف الشرف بتهمة الشرف

دخل عزت وأخذ يسأل كل من يقابله إلى أن وصل إلى الخزينة ووقف أمامها وراح يسأل أمين الشرطة الجالس بغرفة الحزينة

- لو سمحت عايز أدفع لغارم
- اسمه.. والمبلغ؟
- اسمه كمال محمد أمين.. والمبلغ عشرين ألف..
- اسمك؟
- انا فاعل خير
- لازم الاسم.. والا اقولك استنى أكلم الظابط

ذهب الموظف للضابط وأعطاه الطلب

- اتفضل يا باشا توقيع حضرتك.. بس مارضيش يقول اسمه
ابتسم الضابط سعيدا بعمل الخير ورفضه الافصاح عن اسمه

- عادي.. فيه ناس بتعمل الخير لله.
ينظر الضابط لعزت مبتسما
- اتفضل أقعد حضرتك
- ممكن يخرج امتى؟
- يعنى بالكتير يومين.. نسدد المبلغ ونبلغ النيابة
- ممكن آخد نمرة حضرتك اطمن عليه.. يعنى آعرف هايخرج امتى
- اتفضل ده تليفون المكتب هنا
- أشكرك.. السلام عليكم

وأعطاه أمين الخزينة الإيصال الدال على السداد وخرج عزت وهو يكاد أن يرقص فرحا

(٢٩)

قفز عزت داخل سيارته وانطلق كالسهم يأكل الطريق أكلا وحدث زوجته ليبلغها أنه قام بالسداد وكلها ساعات قليلة ويخرج الفارس النبيل ليستنشق هواء الحرية .لكنة لايستطيع أن يضع جانبا مخاوف زوجتة أنها لا تستوعب أو تقبل أن كمال محبوس من أجل عشرين ألف جنية.. فسيارته تعبر حاجز المائة ألف جنية وبالتأكيد مصاغ زوجته كذلك..

هناك شيء خطأ.. إما أن يكون المبلغ أكبر وإما أن يكون للحبس سبب آخر.. لكنه رغم أنه يصدق هذا الكلام إلا أن قلبه يرفضه لأنه أحب كمال ويريد تحريره من أسره فلتكن هى العشرون ألف ويخرج البطل وراح يردد:

- كلها بكرة ونعرف السبب

(٣٠)

ما أن خرج عزت من مكتب الضابط حتى أمر بإحضار ملف المسجون كمال محمد أمين وطلب إحضار المسجون ليبلغه بنفسه هذا الخبر السعيد ودخل كمال إلى مكتب الضابط ووجد الضابط أمام شخص وقور عليه علامات النجابة وعلامة الصلاة تزين جبهته

- تعالى ياكمال
- افندم
- فيه فاعل خير جه يسدد الفلوس اللي عليك.. هو سايب لك عشرين ألف جنية.. وأنا بعت للإدارة لأخذ الإجراءات

ابتسم كمال في سعادة

- اسمه إيه؟
- رفض يقول اسمه
- جميل جدا.. بس يا خسارة
- جميل وخسارة.. فيه إيه؟
- أنا مصيبتى كبيرة.. كبيرة قوى.. المبلغ مليون جنية
- ياه.. على العموم إنت معاك عشرين ألف جنية بتوعك..
- بتوعى.. يعنى إيه؟..
- فاعل الخير جاى لك انت مخصوص.. بالاسم الثلاثى.. مبروك عليك المبلغ ممكن تعيش بيه كويس هنا.. أو تبعته لأولادك

- أنا كويس قوى.. وولادي مستورين.. معايا في العنبر اتنين مساجين مجموع اللي عليهم عشرين ألف جنية.. أنا متبرع بالمبلغ لهم.. ويروحوا يناموا مع ولادهم.. كلهم اللي محبوس علشان ثلاجة أو بوتجاز.. جهاز البنات يا بيه

- لا استنى.. انت أول مسجون يخرج مساجين ويضحى كده.. إيه حكايتك؟ قول إزاى اتحبست وانت راجل قلبك كبير كده؟

- اللي حبسنى قلبي الكبير.. والمروءة.. حكايتي هي....

وسرد للضابط قصة حبسه وتفانيه من أجل صديقه والضابط تزداد ابتسامة الاعجاب والتقدير لهذا الرجل ويردد مازالت الدنيا تنجب خيرا

(٣١)

الحياة تسير ولا تتوقف مهما كان السبب.. فطوفان الأيام يلف الجميع والكل ملقى على رحايا الأيام تطحنه.. ونعمة الصبر أن أنعم الله بها على عباده كانت بلسما لرحى الأيام.. فها هى أم أحمد وبمساعدة رمزي ينتقلون من صفقة إلى صفقة.. كلها صفقات صغيرة وكلها دفع كاش فالكل رفض القسط أو الدفع الآجل بعد حبس كمال

دخل رمزي على أم أحمد سعيدا وبيده تصريح زيارة لزوجها

- اتفضلى يا أم أحمد
- خير
- تصريح زيارة لكمال التلات الجاى.. يعني بعد أسبوع
- شكرا يا رمزي.. انت أخويا يا رمزي مش ابن خالتي بس
- ربنا يعلم معزة كمال عندى قد إيه؟.. بس مافيش في إيدى حاجة - ربنا كبير.
- ونعم بالله.. في محل في القاهرة عايز ميت عباية كلاس١
- إن شاء الله موجود.. ونوديهم قبل الزيارة كمان

(٣٢)

ما إن قام عزت من نومه حتى ألقى بنفسه على كرسي بالصالة وأمسك بالتليفون ليطمئن على خروج كمال فسألته مريم لغرابة الأمر فهو يتصل تليفونيا وقبل أن يغسل وجهه

مريم : بتكلم مين؟
عزت : بكلم الضابط أطمن على خروج كمال..
وجاء صوت الضابط
الضابط : الو.. مين معايا؟
عزت : أنا فاعل الخير.. بتاع العشرين ألف جنية
الضابط : (بلهفة) أهلا .. انت فين؟
عزت : تحت أمرك.. كمال خرج؟
الضابط : للأسف لا..
عزت : (مقاطعا وفي لهفة) ليه بس؟
الضابط : صبرك عليا.. ها أقولك كل حاجة.. صاحبك ده فارس نبيل.. أولا المبلغ مليون جنية
عزت : (مقاطعا وهو يصرخ) يا نهار أسود.. يا دي المصيبة مليون جنية؟.. دى كارثة..

وصرخت مريم ولطمت وجهها : يا خرابى مليون جنية؟!.. مش قلت لك في حاجة غلط

عزت : (يكمل حديثة مع الضابط بصوت حزين) أنا ماكنتش مصدق من جوايا إنه محبوس علشان عشرين ألف.. ده راجل نبيل وألف مين يديله عشرين ألف.. بس مين يديله مليون؟..
الضابط : ربنا يفرجها عليه
عزت : طيب ممكن أعرف الحكاية من فضلك؟
الضابط : طبعا.. أنا حاسس انك صاحبه جدا وهاتساعده علشان كده أنا مستنى اتصالك وهاحكى لك.. إنت شكلك زميل قديم له
عزت : (بصوت حزين) أبدا أنا شفتة مرتين بس في حياتى..
الضابط : معقولة (وكأنه يحدث نفسه) وعلى إيه العجب؟.. أنا شفته مرة واحدة ومستعد أدفع له المبلغ لو معايا.

وحكى الضابط القصة لعزت وحكى أيضا ماذا فعل بوديعة عزت له وعزت لا يستطيع إيقاف دموعه

(٣٣)

أسقط في يدى عزت ومريم وخيم الصمت عليهما وأحكم قبضته وكل ألقي رأسه على مسند كرسيه وراح ينطر إلى السقف وكأن على رأسيهما الطير.. نظرت مريم لعزت وسألته سؤالا بصوت هو أقرب للبكاء

- يعنى إيه؟.. خلاص مافيش فايدة؟
- لازم يكون فيه طريقة.. والله لو هابيع هدومى والراجل ده يطلع
قالت مريم في أسى أقرب لليأس
- بس ده مليون جنية.. أنا الدهب اللي عندي مش هايجيب خمسين ألف جنية
- ماشى.. وأنا معايا في البنك مية وخمسين ألف.. هاخلي خمسين ألف لشغل المستوصف.. يبقى مية وخمسين.. وبعدين
- عربيتك يا عزت.. تجيب خمسين على الأقل
- ماشى والعربية كمان مش مشكلة.. يبقى متين ألف.. لسه كتير.. مافيش غير إننا ندور على شريك للمستوصف أو نبيعه
- معقولة هانبيع المستوصف؟
- إحنا شغالين يا مريم في أكتر من مستشفي.. أنا دكتور بنج وأكتر من مستشفي بتحتاجني في العمليات.. يعنى مستورة
- يا عزت المستوصف التذكرة فيه بعشرة جنية يعني بيجيب مرتبات العمال بالعافية ده مين اللي يشتريه؟
- هنلاقي واللي يشتريه يعمل التذكرة براحته يا مريم

- بيع المستوصف صعب عليا كتير لأن بسبب مساعدتنا للناس عن طريق المستوصف ربنا بعت لينا كمال يساعدنا

- تعالي يا مريم نحسبها كويس لو أنا كنت مت في الحادث.. المستوصف كان هايرجعني؟

- بعد الشر عليك.. طبعا لا

- ولو كان لقدر الله البلطجية اغتصبوكي.. المستوصف كان هايرجع لنا شرفنا؟

- يا مصيبتى ده أنا كنت انتحرت.. طبعا لا

- ولا قدر الله لو كان ابننا يوسف الوحيد جرى له حاجة المستوصف كان هيرجعه؟؟

- ألف سلامة عليه.. طبعا لا.. والله عارفة بس المستوصف بابنا للخير والتقرب لله

- يبقى نبيع المستوصف أو ندور على شريك يديني فلوس

- كده أنت هتاخد وقت كتير عموما كلم الناس وأبدا وأنا إحكي لبابا يمكن يكون عنده تصرف تاني

عزت : دا خبر سجن كمال هايبقى كارثة له

(٣٤)

ذهب عزت للمستوصف وجلس إلى مكتبه وأخذ يتصل بكل أصدقائه وكل من له في هذا البزنس ولكن كانت الردود أنه مستوصف الملاليم وأنه أقل من اقتصادي ولا أحد يتوقع له أن يكون مدرا للمال مهما جددوا وسمع أرقام بخسة وكأنة سقط سقوط مروع ففكر في البنك لماذا لا يأخذ قرض لينقذ صديقه ويسدده على أقساط قرض لتطوير المستوصف فذهب إلى البنك الذي به حسابه فهو يعرف مسؤل الائتمان هناك

ودخل البنك وكله أمل وتحدث مع المسؤل ووجد الترحيب وطلب منه دراسة جدوى وفواتير المعدات المطلوبة وأسماء الموردين لأن الشيكات ستصدر بأسمائهم

أحس بخيبة أمل هذا موضوع طويل يحتاج شهور ولن ينقذ صديقه فالشيكات لن تكون باسمه موضوع صعب فعاد كما ذهب خالي الوفاض

(٣٥)

فكرت مريم كيف تقول الخبر لوالدها فكمال أصبح بالنسبة له أكثر من ابن وهذا سيسهل طلبها وربما أجابها قبل أن تطلبه توكلت على الله واتصلت وجعلت الحوار يقود نفسه

دخل عليها عزت نظرت إليه فعرفت أنه لم يوفق وشرح لها ما حدث بالتفصيل فقالت له : كده مافيش غير بابا
فهز رأسه موافقا لأنه الأمل الوحيد الباقي لهم فأخذت الموبايل واتصلت وهي تدعو الله أن يكون باستطاعة والدها توفير المبلغ فهو لن يرفض مطلقا ولكن المهم الاستطاعة

مريم : الو يا بابا
خلة : أهلا مريم.. كيفك يا بتى؟
مريم : (بصوت حزين) نشكر ربنا
خلة : مالك يا مريم صوتك ماله؟
مريم : معاك عزت يحكى لك
عزت : الو يا عمى
خلة : فيه إيه؟.. طمنونى يا أولاد.. انتم كويسين ويوسف كويس؟
عزت : إحنا تمام نشكر ربنا
خلة : طيب فيه إيه أمال؟
عزت : كمال صاحبنا يا عمى في شدة
خلة : (في صوت عالى) ماله حصل إيه؟
عزت : اتحبس

خلة في فزع : إيه؟ بتقول إيه؟.. اتحبس ليه؟ قول يا ولد

راح عزت يروى القصة كلها من أول حريق المخزن وحتى دفع العشرين ألف جنية وتبرع كمال بهم
وجاء رد خلة قوي كعصبيته الصعيدية المعجونة بالرجولة

خلة : معقولة.. الشهامة والرجولة.. تمنها يبقى السجن؟.. خلاص مابقاش فيه أمان في الدنيا.. نبقى وحشين عشان نعيش.. نشوف واحدة بتغتصب ونسيبها عشان نعيش.. واحد بيتقتل نسيبه عشان نعيش.. واحد بيته اتخرب وبيموت نسجنه عشان إحنا ما ننسجنش ضاعت المروءة يا ولاد يا خسارة.. دا الراجل خرج مساجين معاه غرماء غيره وهو جوه السجن

مريم بصوت عالي مغموسا بالبكاء لتسمع والدها

- الراجل ده ليه دين في رقبتي
خلة : (مكملا كلامه) والله والله.. لأخرجك يا كمال مهما كلفني
عزت : أنا دهب مريم على عربيتي على شوية فلوس في البنك يعملوا متين ألف
خلة : تسلموا.. أه كده.. بس أنا مش محتاج فلوسكم.. أنا هابيع النص فدان اللي لحاله بعيد عن باقى الأرض.. هو دخل الكردون.. والكل بيجرى عليه والسعر حلو قوى
عزت : معقولة هاتبيع الأرض يا عمي؟

خلة : شوف يا عزت الأرض عرض صح.. لكن لو كان اتنهش عرضنا يعني شرفنا تفتكر لو بعت الأرض اللي حدايه كلها كنت هارجعه؟

عزت : ولا مال الدنيا كلها

خلة : الله ينور عليك يا عزت العرض لا يقدر بمال.. اللي احنا بنعمله مش ممكن يساوي اللي عمله كمال.. إحنا بنخلي صورتنا حلوة قدامه وبس.. يللا يا ولدي خذ الأجراءات

عزت : الوقت يا عمى.. يعني الناس جاهزة؟

خلة : (بحزم) دول يا ابنى على رنة تليفون.. كلموني كتير بس أنا كنت ناوى أعمل لكم فيه مستشفي انت ومريم.

عزت : ربنا يبارك في عمرك

خلة : بالكتير بكرة تكون الفلوس معايا.. رتب يا عزت مع الضابط الشهم ده.. قول له يوم التلات هانكون عنده بالفلوس.. يكون مجهز كل شيء علشان نرجع بكمال

رد عزت وهو سعيد ولكن لا يصدق أذنه فالأرض عندهم في الصعيد عرض

وتطلق مريم زغرودة ممزوجة بالبكاء وتحتضن عزت ودموع الفرح تروي وجنتيهما

(٣٦)

أطاحت الفرحة بلبي عزت ومريم وما أن انتهت المكالمة مع عمه خلة حتى تعانقا عناقا كبيرا وراحا يتقافزان من فرط السعادة كالأطفال لقد أزاح عمه خلة الحجر الذي كاد أن يكتم أنفاسه

فللفرحة أمواج عاتية متلاطمة تجتاح صدره وتقتلع قلبه عاصفة به بين أضلعه وعرف كيف أن السعادة ممكن أن توقف القلب

أخيرا سيخرج الرجل الشهم الذي ضحى بحياته ولم يفكر في نفسه ولو لثانية من أحب إنقاذه وإنقاذ أسرته وإنقاذ شرفه من أن تطأه الكلاب عن حبه لنفسه وضحى خلة بأرضه والأرض عرض لمن دافع وصان عرضه... كم أنت جميلة أيتها السعادة لقد استطاعوا أن يردوا شيئا من الجميل للفارس الشهم

اتصل عزت بالضابط لترتيب السداد والإفراج عن كمال وقص عليه ما حدث والضابط يسمع في سعادة فما رأه من أفعال كمال مع المسجونين وسداده لهما غرامتهما واشترى لهما الحرية يطابق ما روى عن شهامته كان داخل الضابط إحساس قوى يقترب لليقين أن الله لن يضيع هذا الرجل وسوف يحرره الله فأتى الرد لعزت من الضابط جعله يزداد سعادة فقال الضابط في ثبات

- كان عندي يقين أن الله لن يتركه.. أن شاء الله تيجوا يوم التلات هتلاقوا كله تمام

(٣٧)

قبل أن تشرق الشمس وتطل بوجهها الدافيء على الطريق كان عزت ومريم قبلها على الطريق في رحلة إنقاذ كمال تداعبهما نسمات الصباح الربيعية المشبعة بعطر الورود ويسري في بدانهما انتعاشهما بضياء الصباح وكأنها لمسات سحرية وكانت السعاده تكاد أن تقفز من عينيه وهو يحاور زوجته فاليوم سيقدم ردا ماديا للفارس الشهم ولن بكتفي بالرد المعنوي

سيكون السبب في حريته كما كان هو السبب في حياتهم ورفع رأسه كان يعرف أن الفرق كبير بين ما قدمه كمال وما يقدمه هو الآن ولكنه استطاع أن يعبر ماديا وليس معنويا فقط وقال له كما أعطيتنا قبلة الحياة نعطيك الحرية.

(٣٨)

أمام مبنى السجن كان موعد لقائهما بخلة ورقصت القلوب بقدوم خلة يحمل حقيبة الفلوس وتعانقت الأنفس قبل الأبدان من فرط النشوى بالفرح وقبلا يدي ورأس خلة حبا وفرحا واندفعوا إلى الداخل قاصدين مكتب الضابط ذو القلب الطيب واستقبلهم بابتسامة جميلة كقلبه الجميل المحب للخير

الضابط : أهلا بالناس الطيبة
عزت : السلام عليكم حضرة الضابط
الضابط : أهلا أستاذ عزت فاعل الخير.. أنا شايف الوجوة بتضحك.. وأنا جهزت كل حاجة
خلة : احنا متشكرين يا باشا.. ربنا يكرمك إن شاء الله
الضابط : الموظف في انتظارك جوه.. وعلى ما تشرب الشاى كل شيء يبقى تمام.. اجلسوا.. اتفضلى يا مدام.. حضرتك بقى مدام مريم اللي أنقذها كمال
مريم : (باسمة) ده بقى أخويا كمال..
لم يكن الضابط يعرف أن عزت مسيحى فالقصة كانت تروى له دون ذكر أسماء وكل ما يعرفه أن فاعل الخير هو دكتور عزت فسأل عن والد مريم للتعارف
الضابط : والحاج
خلة : أنا اسمى خلة بطرس.. والد مريم

الضابط : (في دهشة) مسيحى وجاى تدفع مليون جنية دين لمسلم؟!.. الله أكبر.. المواقف دى لا توجد إلا في مصر فقط
خلة : وتفتكر إن الشرف تمنه مليون جنية يا ولدي؟
الضابط : لا ..لا .. الشرف لا يباع ولا يشترى.. ولا فلوس الدنيا
خلة : (ضاحكا) شوف بقى إحنا ماعملناش حاجة إزاي قصاد اللي عمله كمال.. ولسه برضه إحنا مديونين
الضابط : كمال دلوقتى عنده زوجته وصديقه زيارة.. جوة في صالة الزيارة.. سبحان من رتب الأحداث.. تحبوا تروحوا له جوه؟
عزت : لا لا.. خليها لما الاجراءات تخلص ..وحضرتك تنادية ونخرج كلنا
الضابط : الأمين راح يجيب قرار الإفراج من النيابة في المبنى المقابل مسافة الشاى يا عم خلة

(٣٩)

ارتمت أم أحمد في أحضان زوجها وراحت تبكي في حرقة فهذا أول لقاء بينهما بعد حبسه وتعانق أيضا هو وصديقه رمزي ودمعت عينا رمزي حزنا على منظر صديق عمره

وتعجبت كريمة من هدوء زوجها وابتسامته المشبعة بالإيمان. وروى لهما ما حدث في محبسه بينه وبين أصدقائه وقصة فاعل خير الذي وضعه له بمبلغ عشرين ألف جنية وكيف تبرع بهذا المبلغ ليتم الإفراج عن اثنين من الغرماء وأصبح محل احترام الجميع

نظر كمال حوله وبعد مرور وقت كبير من اللقاء وجد أن العساكر يطلبون من الزائرين الانصراف إلا هو.. أحس كمال أنه قد يكون العساكر محرجون منه لذلك لم يطلبوا منه الانصراف فأراد أن يبدأ هو ولا يحرج العساكر

كمال : يا أم أحمد بقالك أكتر من تلات ساعات.. يللا بقى عشان أحمد عند خالته

رمزي : يا عم هدي نفسك.. ما ورناش حاجة.. بس غريبة يا كمال الكل بيمشى والعساكر بتطلب منهم المشى إلا إحنا.. إيه الحكاية؟ انت بقيت مركز قوى هنا ولا إيه؟

كمال : (ضاحكا) فاعل الخير اللي حكيت لكم عليه.. الكل هنا بيعاملنى باحترام شديد بعد ما خرجت مسجونيين بفلوس فاعل الخير

رمزي : انت يا كمال غريب.. كنت ممكن تخلي الفلوس دي لك.. تصرف منها في السجن دي جايه لك انت باسمك.. ربنا بعتهالك.. وأنت أصلا غارم.. يعنى مرفوع عنك التبرع يا عم (الكل يضحك)

كمال : لا لا.. أنا بعامل ربنا مش بعامل حد تاني.. وهو كريم.. زي ما أنا خرجت ناس ربنا قادر يخرجنى إن أراد.. وأكبر دليل خلاني اتبرعت.. هو أنا أصلا معايا فلوس للتبرع؟ ربك بعت حد ليا أنا مخصوص يسأل علي.. ويسيب فلوس.. شفت يا رمزي؟ أنا سايبها لله.. وبقوله يا رب هاتها جمايل

رمزي : يا رب

كمال: عارف يعنى إيه؟ هتها جمايل

رمزي : لا.. بس أنا باسمعها كتير

كمال : يعنى يارب خليها بجميلة منك.. أنا ما استاهلش.

رمزي : دا انت عامل جمايل كتير يا كمال

كمال : يبقى ربنا هايسبنى.. لا.

أم أحمد : انت إيمانك بالله كبير يا كمال.. وإن شاء الله خير

وجد كمال عسكري يتجه نحوهم فتمتم

كمال : مش قلت لكم الناس مكسوفة مننا.. لكن إحنا كده زودناها العسكري جاي يقول لنا كفايه؟ يلا قوموا طريق السلامة

العسكري : حضرة الضابط عايزك في المكتب..

كمال : حاضر

وينظر لرمزي ولزوجته : يللا تعالوا معايا في سكتي.

ويسيروا خلف العسكري وتتأبط كريمة يد زوجها فيبتسم ويقول لها : مش كده.. إحنا في السجن مش على الكورنيش

(٤٠)

وجد كمال الضابط واقفا أمام مكتبه الموجود بالطرقة المؤدية لخارج المبنى فمال على زوجته ورمزي ليودعهما ويذهب للضابط ولكنه رأى الضابط يشير إليهم جميعا أن يأتوا إليه فذهب إلى الضابط ليتبين الأمر

كمال : تحت أمرك يا باشا..

بادره الضابط بابتسامة جميلة تنم عن سعادة حقيقة وليست ابتسامة المجاملة

الضابط : تعالوا كلكم .. فيه ناس هنا مستنياك
ثم بصوت عالي للعسكري الواقف أمام باب مكتبه : روح شوف الأمين جه من النيابة والا لأ

دخلوا إلى داخل الغرفة وتسمرت قدماه من هول المفاجأة.. العم خلة وابنتة الدكتورة مريم ودكتور عزت زوجها بالداخل.. من أدراهم بما حدث؟. إن زوجته وكذلك عزت ليس لديهم أرقامهم وجاءت أصواتهم متداخلة وعالية وسعيدة

- أهلا كمال .. أهلا كمال
كمال : معقولة؟.. انتم عرفتم إزاي؟
عزت : اللي يسأل مايتوهش يا أبو أحمد.. ده كلام برضه؟

خلة : كيف تخبى يا ولد؟.. حد يخبى على أبوه برضه؟
مريم : حد يخبى على أخته؟.. أخته اللي رفعت راسها بسببه
كمال : هقول إيه؟ بس.. دى حاجة تتقال
خلة : (في حزم) غلط.. الإخوة لازم يعرفوا كل حاجة.. أمال يبقى إيه فايده الأخوة؟
عزت : إزيك يا رمزي .. كده برضه؟.. طيب اتصل انت
أم أحمد : كده أنا عرفتكم.. انتوا بتوع اسكندرية
(محدثة مريم) وانتى أم يوسف
تندفع مريم إلى كريمة وتتعانقان في قبلات حارة
مريم : أختك أم يوسف
الضابط : انت مستغرب عرفوا إزاي؟... طيب يا سيدي خد المفاجأة دى.. دكتور عزت يبقى فاعل الخير بتاع العشرين ألف جنية
كمال : ياه.. معقول.. مفاجأه... دا انا قعدت أقلب في كل التجار اللي بنشتغل سوا
عزت : فكرت في الكل إلا أنا
كمال : أنا مش عارف أقول إيه؟.. على العموم في اثنين خرجوا بسببك يا عزت وربنا يجعل دعواتهم في ميزان حساناتك.. وعشرين ألف شكر يا دكتورعزت
الجميع يضحك.. وكمال وزوجته ورمزي يجاملونهم بالضحكات لأن الحزن يكمن في القلوب على المسجون
الضابط ضاحكا : لا يا كمال ما ينفعش.. عشرين ألف شكر.. ما ينفعش خالص

يقف الضابط ويشير بأصبعه إلى العم خلة ويقول في صوت عالي يملأه السعادة

الضابط : انت لازم تشكر عمك خلة مليون شكر
كمال : (صارخا) معقولة... قصد حضرتك؟..
الضابط : آه.. هو ده قصدى.. دفع لك المليون جنية.. واحنا في انتظار قرار الإفراج من النيابة

يهتف رمزي بصوت غارق في الدموع

- الله أكبر.. الله أكبر

تصرخ أم أحمد من السعادة وتسقط على الأرض مغشيا عليها محدثا صوت ارتطام قوي فتهرع إليها مريم ويأتي الضابط بالماء لإفاقتها

الضابط : اللي بيحصل ده ولا شغل السيما..
كمال : معقولة يا عم خلة؟.. المبلغ كبير.. كبير جدا
عزت : ده أقل رد لك ولشهامتك
كمال : ده كتير قوي.. ده دين في رقبتي.. إن شاء الله بالكتير سنة وأرد المبلغ .. لكن اللي عملتوه عمرى ما أعرف أرده
خلة : شوف يا كمال.. اسمع زين.. أنا شيلت شنطة فيها شوية ورق وقدمتها مافيش مغامرة.. وانت شيلت روحك على يدك وخلصت بنتي من اللي خطفوها.. كده يبقى مين اللي ضحى؟... تفتكر لو شرفي اتنهش من الكلاب دول.. كان هيرجع بالمليون جنية؟... والله يا ولد ولا ملايين الدنيا يرجعوا شرف بنت.. وكيف وإحنا صعايدة وخلقنا ضيق.. يا ولدى.. أنا باديك المليون وأنا لسه مديون ليك.. هي مش متساوية معاها في القيمة... وآخر كلام انت ولدي... والله ما يلزمني من الفلوس دى جنية

أم أحمد : الحمد لله..
كمال : برضة كتير.. ولازم أرد المبلغ عشان أعيش مستريح
خلة : وهو طارق الله يرحمه رد لك المبلغ؟.. أو انت طلبته.. شوف على العموم الموضوع انتهى..

يدخل أمين الشرطة مندفعا وفي يده ورقة وبعد أن يؤدي التحية للضابط

أمين الشرطة : تمام يا افندم.. اتفضل قرار الإفراج
الضابط : يللا يا جماعة من غير مطرود.. يللا يا كمال مع السلامة

يدخل كمال في بكاء هستيري وكذلك الجميع وينتاب مريم بكاء مخلوط بابتسامة.. ويسجد كمال لله شكرا

مريم : كفاية بكا.. عايزين نفرح.. إحنا في فرح دلوقتى
خلة : إحنا كده.. فرحنا بالدموع . يللا يا كمال.. إحنا هنتعشى حداك.. بس في البيت.. أنا ما احبش المطاعم
أم أحمد : تنوروا يا عمى
خلة : واشوف كمال الصغير.. وأقول له المبلغ ده ليك.. عشان كمال يبقى مستريح

الجميع يضحك وتتعالى الضحكات والعناق وكمال ينظر وعقله يقلب ما يحدث هل يحلم أنه لم يجرؤ على أن يحلم بهذا المستحيل ولا يستطيع أن يفكر في أن يحدث مايحدث الان فهو أكبر من خياله

عانقته زوجته وقالت له مبروك فقال لها ألم أقل لك إن الله كريم ولن يتركنا حقا إن الخير لا يضيع بين العباد فما بالك مع الله الذي يعطي بلا حساب

خرج الجميع والضحات تتعالى وكلمات المباركة تأتي من كل من يراهم من عساكر ومساجين والرد السائد الحمد لله

تمت